8me Année No. 387

Lundi - 2 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

حكمة الأقاصيص

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فصولاً كثيرة فى التفرقة بين الفلسفات الاجتماعية والسياسية فلا أذكر أنى قرأت فى سطور معدودة تفرقة أظرف وأذكى من التفرقة التى تمثلها لنا قصة البقرتين الأمريكية التى نلخصها فيما يلى :

فالاشتراكية هى أن تكون لك بقرتان فتعطى جارك إحداهما.

والشيوعية أن تكون لك بقرتان فتأخذهما منك الحكومة كلتيهما وتعطيك من اللبن ما تحسب أنك فى حاجة إليه

والفاشية أن تكون لك بقرتان فتبقى البقرتين عندك وترسل اللبن إلى الحكومة

والنازية أن تكون لك بقرتان فتأتى الحكومة فتأخذك أنت وتأخذ منك البقرتين

والإصلاح الأمريكى الجديد على طريقة روزفلت أن تكون لك بقرتان فتصطاد الحكومة إحداهما وتحلب الثانية وتريق لبنها على التراب !

والديمقراطية أن تكون لك بقرتان ملكا فتؤدى ثمنهما مرة أخرى على التقسيط ضرائب وإتاوات

و « الرأسمالية » أن تكون لك بقرتان فتبيع إحداهما

وتشترى بثمنها ثوراً وتنتج منهما عجولاً وبقيرات

وفى هذه القصة من المبالغة ما فى معظم الفكاهات والصور الهزلية ، ولكن أين هى السطور القليلة التى تفرق بين الفلسفات السبع تفرقة أقرب إلى الفهم وحسن المقابلة من هذه التفرقة الفكاهية ؟ وأين هو الجد الذى يسلم من المبالغة كل السلامة على إرادة من صاحبه أو على غير إرادة ؟

ويبدو لنا أن المباحث الحديثة أحوج ما تكون إلى كتاب يعالجها على أسلوب القصة الأمريكية ، وإننا نحن الشرقيين أولى بإخراج هذا الكتاب لأننا حذقنا فن القصة الحكمية من عصور بعيدة ، ولأننا قليلو الصبر على دراسة المطولات فى هذه الموضوعات

والظاهر أن بلاد كليلة ودمنة — ونعنى بها الهند — تأبى أن يفوتها نصيبها من هذا الواجب الحديث ، وأن الأستاذ الفاضل عبده الزيات قد اهتدى إلى كتاب من قبيل الكتاب الذى نقترحه على العالم الشرقى ، حين ترجم إلى العربية « حكايات من الهند » يجتمع لها ما نبغيه من حسن التقريب وحسن الفكاهة وحسن الإيجاز

فكتاب « حكايات من الهند » ثروة لا تقل فى جوهرها عن الثروة الغالية التى ربحها العالم من كتاب كليلة ودمنة ، وأنفس ما فيه تلك البساطة التى قد تصغر من شأنه فى نظر السطحيين وهى هى مزيته الكبرى وغايته القصوى ، بل غاية جميع الحكماء من تبسيط المركبات وتسهيل المعضلات . . . أليس المقصود بهذه الحكمة القصصية أن تمثل لنا الحقائق العويصة فى صورة البدهيات التى لا تحتاج إلى بينة ولا إطالة بيان ؟

إليك مثلاً قصة الرجل الذى ترك لأبنائه الثلاثة بطيخة يحتفظون بها فظن أحدهم أنه يحتفظ بتراث أبيه إذا أبقاها عندهم حتى تفسد وتفسد ما حولها ، وظن الثانى أنه يحتفظ به إذا باعها واشترى غيرها ، وظن الثالث أنه يحتفظ بذلك التراث أجل احتفاظ إذا انتفع ببذور البطيخة ولم يحرص على قشورها وفضولها

أليست هذه معضلة التجديد فى أوضح صورة وأبسطها ؟ أليس المحتفظون بالبطيخة حتى تفسد ويفسد ما حولها هم الجامدين الغافلين ؟ أليس الذين يبيعونها ويشترون غيرها هم المجددين الذين يستبدلون جديداً بقديم ولكنهم يقطعون الصلة بين هذا وذاك ؟ أليس زارعو البذور هم المجددين الصالحين الذين يصونون تراث الآباء ويضاعفونه ولا يخسرون طرافة الجديد فى كل موسم ؟ أليست هذه حكمة يسيرة عسيرة تستدنى النجم البعيد فإذا هو فى متناول اليدين ؟

ولقد حكى المؤلف حكايته ثم عقب عليها بمغزاها فزاد الحكاية الصغيرة توضيحاً على توضيح حين قال : « . . . أما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأتى الدود عليها جميعاً فجلابة للسخرية والأمراض ومضيعة للبطيخة . . . وأما رميها برمتها والاعتياض منها بجديدة نبتاعها فتبديد لتراث أبينا والنقود التى نؤديها فى ثمن هذه وأثمان غيرها ، هـذا إلى أن كل ما نشتريه لا بد أن يجرى عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا . إن التجديد هو ملاك الحياة والتقدم بيد أن كل جديد ينبغى أن يتولد من بذور الماضى »

وذلك فيما نعتقد فصل الخطاب فى مسألة التجديد

* * *

ولقد رأيت فى حياتى ألف مصداق لـ « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ، ورأيت مرات أننا لو اطلعنا على الغيب لاخترنا الواقع ، ولكنى لا أحسب أن قصة صغيرة تقرّب هذه الحقيقة البعيدة كما قربتها قصة المؤلف الهندى التى جعل عنوانها « لم كان الصخر صلباً ؟ » وروى فيها أن حجّاراً تعب من صلابة الصخر ، فتمنى على الله لو أصبح هذا الصخر الصلب رخواً كالزبد والعجين ، فلما استجيب دعاؤه قطع فى يوم واحد أضعاف أضعاف ما كان يقطع فى أيامه السابقة ، ولكن الصخر بار وكسد ، لأن الناس استغنوا عن البناء به وأعرضوا عن شرائه ؛ وعاد الحجار يقول : « رب ! إنك لأعلم أين الخير لعبادك ، فاغفر لى دعوتى ورد الصخر صلباً ثقيلاً كما رأته أول مرة »

ويعرض المؤلف مزية الصلابة ومزية الرخاوة فى معرض آخر حين يروى عن الصخر أنه تكبر على الطينة القريبة منه ، فشمخ بأنفه عليها وقال لها : « أنا صلب نظيف جميل حمول قوى . أما أنت فرخوة قذرة متداعية قبيحة ضعيفة . . . . »

فلم تنكر الطينة شيئاً من مزاياه ولا شيئاً من عيوبها ، ولكنها أجابته قائلة : « إنى لأنمى الحبوب والخضر التى يعيش عليها كل حى ، فماذا تنمى أنت ؟ إن قوتك عقيمة ، وأما ضعفى فثمر »

وكثيرٌ ما يستفاد من أمثال هذه المقابلات والمساجلات ،

كما عرفنا أن ننقلها من كبار المشكلات وصعاب المعضلات

* * *

كنت فى سيارة من سيارات الأجرة تخطر للسائق أن يختصر الطريق فينحرف إلى الشمال مقاطعاً فى بعض الميادين الصغيرة بدلاً من الاستقامة على طريقه إلى الأمام

وفرق المسافة مائتا متر على أكبر تقدير

ولكنه حسب فرق المسافة بالمتر وأهمل كل حساب آخر ، لأن السيارات كانت مقبلة تترى من الجهة الأخرى ، فكانت تعبره واحدة بعد واحدة وهو واقف فى مكانه ، وحاول أن يرجع فإذا هو قد سد المجاز على من خلفه واستعصى عليه الرجوع ، ثم تحوّل المرور وهو فى الانتظار حيث كان ، ولو مضى من أول الأمر قُدُماً لوصل من جانب التطويل قبل أن يصل من جانب الاختصار!

هذا السائق لم يخطئ فى مسألة علمية أو مسألة سياسية أو عقدة من عقد البحث والفلسفة ، ولكنه أخطأ فى العمل الذى يعمله كل يوم وينقطع له دون سائر الأعمال

ولكنه مع هذا قد يشكو ظلم الأرزاق ويرشح نفسه لمهام الدولة التى يظفر بها المجدودون ولا يذوده عنها إلا غفلة الحظوظ .

وأنه لمثل واحد من أمثلة خالدة قلما يخلو منها زمن

وما أكثر ما ذكرت من هذه الأمثلة وأنا أقرأ فى الكتاب قصة الوزير والخادم !

خادم سمعه الملك يوماً يقول : « إن هذا العصر عصر ظالم ، فأنا أعمل طول اليوم ثم لا أنقد إلا سبع روبيات فى الشهر ، والوزير الذى يركب السيارات ويضيع وقته فى الكسل يقبض ألفين من الروبيات »

فامتحنه الملك باستطلاع أمر مسافر قادم على بعد ، فذهب مرة ليسأل عن اسم ذلك المسافر ، وثانية ليسأل عن إقليمه ، وثالثة ليسأل عن المكان الذى قدم منه ، ورابعة ليسأل عن الوجهة التى يقصدها ، وخامسة ليسأل عن الرحلة التى يقف فيها ، وسادسة وسابعة وثامنة وتاسعة ليسأل عن غرضه وعمن يلقاه وعن موعد اللقاء إلى غير ذلك من الأسئلة التى لا يذكرها إلا إذا أمليت عليه

ثم بعث بالوزير مستطلعاً فعاد بالخبر كله فى لحظة قصيرة وأجمل ما علم فى مقال وجيز

فاستدار الملك إلى خادمه وقال له : « أرأيت أن ما كلفك تسع رحلات مضنية وخمس ساعات قد كلف الوزير نصف ساعة ورحلة واحدة ؟ لعلك تتعلم الآن لماذا تقبض سبع روبيات فى الشهر ويقبض الوزير ألفين . . . »

ومن السهل أن يقال إن من الوزراء من يخطئ خطأ الخادم ومن الخدم من يصيب إصابة الوزير ، ولكن الحقيقة الباقية بعد هذا أن من الناس من يعمل فى رحلة واحدة ونصف ساعة ما يعمله غيره فى تسع رحلات وخمس ساعات ، وإن الظلم كل الظلم أن يتساوى هذا وذاك

وقد اشتمل الكتاب على نيف ومائة قصة من هذا الطراز ، ما أظنها أهملت مسألة عصرية أو خلت إحداها من عبرة سهلة عصية ، وكلها زاد قراءة سائغ لمن درس تلك المسائل فى مراجعها ولمن يكتفى منها بهذه الأشباه المخيلة والعبر الممثلة ، وهم أكثر من الكفاية فى بلادنا .

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكي مبارك

— ٤ —

على هامش التاريخ المصري القديم

كلة اليوم عن كتاب « على هامش التاريخ المصري القديم » لسعادة الأستاذ عبد القادر حمزة باشا ، وهو كتاب يقع فى أربعين ومائتى صفحة بالقطع المتوسط ، وبه كثير من الصور والرسوم التى توضح ملامح ذلك التاريخ

الأسلوب

أسلوب عبد القادر حمزة أسلوبٌ فريد بين أساليب الكتّاب فى هـذا العصر ، وهو فى غاية من الجمال ، وإن لم يذكَّرك بأنه جميل ، لأن الصنعة فيه أخفى من الخفاء

وعبد القادر حمزة يقيم تعبيره على قواعد المنطق ، فالتعبير عنده مقدمات تصل إلى نتائج ، ولا تمرّ صفحة مما يكتب بدون أن تلمس فيها وضوح الحجة ونصاعة البرهان

وعبد القادر حرّ الفكر إلى أبعد الحدود ، وما صحبه رجلٌ إلا عجب من الشجاعة التى يمتاز بها عقله الوثّاب ، مع القدرة الغريبة على ضبط النفس ، ومع المهارة فى تقديم الحجج « على أقساط » ليتسع له المجال فى تشريح المعانى والأغراض

ومن هنا كان عبد القادر عدوًّا خطيراً حين يعادى ، لأنه لا يحاول الإجهاز على خصمه بمقال أو مقالين ، وإنما ينوشه برفق ودهاء من يوم إلى يوم ومن أسبوع إلى أسبوع ، ثم يظل يراوحه ويناديه إلى أن يأتى على مركزه من الأساس

بين العلم والسياسة

قد يقال إن هذا أسلوب عبد القادر فى مقالاته السياسية ، لا فى أبحاثه العلمية

ونجيب بأن عبد القادر هو هو فى جميع الأحوال ، فعبد القادر لم يفكر فى درس التاريخ المصرى القديم إلا فى سنة ١٩٢٤ ، فاذا صنع فى هذه الأعوام القصار ليكون من أقطاب المؤلفين فى ذلك التاريخ ؟

عمد الرجل إلى طائفة من المعضلات الأساسية فدرسها بتعمق واستقصاء ، ثم خرج من ذلك الدرس بمحصول يحسده عليه الإخصائيون ، وقد تمرّ أعوام وأعوام قبل أن تظفر اللغة العربية بكتاب يضارع كتابه فى دقة العبارة ونفاسة الاستطراد

حشو اللوزينج

وحشو اللوزينج فى تعبير كتّاب القرن الرابع يُضرَب مثلاً للشيء يكون حشوه أجود من قشره ، ومن أشهره قول عوف بن محلّم :

إن الثمانين — وبُلِّغتَها ! ! — قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فعبارة « وبُلِّغتَها ! ! » حشوٌ ، ولكنها أجل من الحشوّ ، لأنها غاية فى الرفق والحنان

وكذلك ينقسم كتاب عبد القادر حمزة إلى حشو وحشوّ ، فالحشو هو الهامش ، والحشوّ هو الأصل ، ولم أجد كتاباً يكون فيه الهامش أغزر من الأصل قبل أن أعرف كتاب عبد القادر الذى أغرم بحشو اللوزينج بعد التفات النقاد إليه بعشرة قرون

فأرجو الطلبة أن يلتفتوا إلى هامش هذا الكتاب أكثر من التفاتهم إلى الأصل ، لأن عبد القادر جرى فى الهوامش على فطرته الأصيلة من التعقب والاستقصاء فأتى بالأعاجيب

وهل برع عبد القادر إلا فى الهوامش ؟

إن هذا الرجل يحارب بالأخبار المنثورة أعنف مما يحارب بالمقالات الطوال ، وهو قد نقل أسلوبه فى الصحافة إلى أسلوبه فى التأليف ، فليراع الطلبة هذا الفن الدقيق

شاهد

قلت إن عبد القادر يصل إلى غرضه بترفق وتلطُّف ، فما شواهد ذلك ؟

إليكم الشاهد الأول :

قال ابن عبد الحكم : « لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل بُؤُونة . فقالوا : أيها الأمير ! إن لنيلنا سُنّةً لا يجرى إلا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلىّ والثياب

أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل . فقال لهم عمرو : هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى همّوا بالجلاء ، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه عمر : « أنْ قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى النيل إذا أتاك كتابى » فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر ؛ أما بعد فإن كنت تجرى من قِبَلك فلا تجر ، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » . فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة وقطع السوء عن أهل مصر فى تلك السَّنة »

فماذا صنع عبد القادر حمزة فى تفنيد هذه الأسطورة البلهاء وقد انتقلت من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل حتى احتلت بعض الكتب المدرسية بالمدارس الثانوية ، وحتى دخلت فى منهج الاحتفال بوفاء النيل بصورة رمزية ؟

أخذ عبد القادر يَدُور ويَدُور حتى صيّر هذه الأسطورة أضعف من وهم الخيال

ولكن كيف ؟

هل فزع إلى المنطق فقرر أن من المستحيل أن يتوقف فيضان النيل على عروس تُلقَى إليه ؟ هل سارع فاستغرب قول ابن عبد الحكم إن النيل توقف ثلاثة أشهر عن موعده الموقوت وفى ذلك هلاك لأهل هذه البلاد ؟ هل أنكر أن يكون لبطاقة عمر ابن الخطاب قوة الموهوم من آثار التمائم والتعاويذ ؟

لو أن المؤلف اكتفى بهذه المحاولات لوصل إلى الغاية فى نقض ذلك الحكم السخيف ، ولكنه رأى الرجوع إلى المأثور عن المصريين القدماء فلم يجد لهذه الخرافة سنداً تعتمد عليه ، فلو كان لها أصل لسُجِّلت فى بعض ما سُجِّل من أخبار الفيضان ، ولو كان لها أصل لَعُدَّ فقدان عروس النيل سبباً فى بعض ما أصاب مصر من مجاعات ، ولو كان لها أصل لذُكِرَتْ فى « نشيد النيل » وهو نشيد قد استوفى خصائص هذا النهر العظيم وتحدث عما أطاف به من أوهام وأضاليل ، ولو كان لها أصل لذكرت عروس النيل بين الهدايا التى كانت تقدم إليه فى الحفلات ، فلم يبق إلا أن تكون خرافة خلقها وَهْمُ القُصّاص ، ثم تبعهم ابن عبد الحكم بلا تمحيص ولا تحقيق

سؤال

من حق طلبة السنة التوجيهية أن يوجهوا إلى سعادة عبد القادر حمزة باشا هذا السؤال :

كيف نشأت هذه الخرافة وهى من المستحيلات ؟

وأتطوع بالإجابة عن هذا الصديق فأقول :

يشهد كتاب الأستاذ نفسه بأن النيل كان يلقى فيه قرطاس من البَرْدِيّ يُدعى فيه النيل إلى أن يفيض ، وكان الكهنة يزعمون أن للكتابة التى فى ذلك القرطاس قوة سحرية

فذلك القرطاس هو الأصل لبطاقة عمر بن الخطاب ، والأساطير يشتق بعضها من بعض

بقيت عروس النيل ، فما أصل تلك العروس ؟

يشهد كتاب الأستاذ نفسه بأنه كان يُتقرَّب إلى النيل بذبح عجل أبيض ، ومن السهل أن نقول إن الذبيح كان بقرة بيضاء والبقرة البيضاء يعبر عنها مجازاً بالجارية الحسناء ، وفى بعض تعابير الفرنسيين توصف البقرة بأنها Bonne femme

ويؤيد هذا التعليل أن المصريين القدماء لم يعبدوا البقرة إلا لأنهم رأوا فيها مخايل من حنان المرأة المفطورة على الطاعة والسجاحة والصفاء

شاهد ثان

والشاهد الثانى على منطق الأستاذ عبد القادر باشا هو تحديده لمركز هيرودوت ، فهذا المؤرخ اليونانى هو الحجة على مصر فى تاريخها القديم ، وما عُرِفتْ مصر القديمة فى شرق ولا غرب بأكثر مما عُرِفتْ عن طريق هيرودوت

فما الذى قال عبد القادر باشا فى ذلك المؤرخ « الأمين » ؟

لقد قتله بكلمة واحدة حين قرر أنه لم يزر مصر فى عهد إشراقها وإنما زارها فى عهد الأفول ، فكان مثله مثل من يأخذ السيرة النبوية عن سَدَنة الكعبة فى هذا الجيل ، وهم لا يعرفون من سيرة الرسول غير أطياف تصوَّر عن طريق الرمز الواهم ما كان عليه الرسول من عظمة وجلال

شاهد ثالث

تحدث عبد القادر باشا عن « السذاجة المصرية » فى تقدير ما للشهور والأيام من غرائب وأماثيل

ومن رأى هذا الباحث أن ما قيل عن الأيام والشهور فى عهد رمسيس الثانى لا يزيد عما يقال فى عهد فاروق الأول ، فهى هنا وهناك صور لأوهام العوامّ الجهلاء ، وليست حجة على العقل الصحيح لأهل هذه البلاد ، فما يقال عن يوم ٥ طوبة فى عهد رمسيس الثانى شبيهٌ بما يقال عن يوم ٥ طوبة فى عهد فاروق الأول . ومعنى ذلك أن العوامّ لهم آفاق غير آفاق الخواصّ ، وإلا فمن الذى يصدّق أن أهل مصر فى هـذه الأيام يَبْنون أحكامهم الماشية على ما يَرِد فى مثل تقويم « طوالع الملوك » ؟

شاهد رابع

وفى هذا الشاهد تظهر القوة المنطقية لهذا المؤلف الحصيف ، فالدنية المصرية هى أقدم المدنيات فى التاريخ ، وآثار المصريين هى أقوى وأنفس وأثمن ما أُثِر عن القدماء فى جميع الممالك والشعوب ؛ وقد دامت المدنية المصرية القديمة أكثر من أربعين قرناً فى وقت لم يكن فيه لغير مصر سلطان ملحوظ فى الشرق أو فى الغرب ، فهل كان يمكن للمصريين أن يتفوقوا على العالم القديم بلا علم وبلا أخلاق ؟

وكيف كان يمكن للمصريين أن يسودوا إذا صح أنهم كانوا جهلاء ؟ ؟

وكيف يجوز عليهم الجهل وقد خلّفوا آثاراً فنية وأدبية هى الغاية فى براعة الأذواق ورجاحة العقول ؟

وهل من الجائز عقلاً أن تقام الأهرام فى بلد لا يعرف أهله قيمة النظام وقيمة التطلع إلى الخلود ؟

وهل يستطيع إنسان موهوب أن ينكر أن آثار الأقصر هى أثمن ما خلّفت الإنسانية فى عهدها القديم ، إن صح أنها استطاعت خلق ما يفوق تلك الآثار فى العهد الحديث ؟

وبأى قوة سحرية جاز لتلك البقعة النائية أن تكون عروش القرون الخوالى ؟

لقد شغلتُ نفسى بأسرار تلك البقعة من الوجهة الطبيعية ، فلم أجدها تنتج غير اللحوم والبقول ، فهل يكون سرّ التفوق فى غزارة اللحوم والبقول ؟

إن كان ذلك ، فكيف انقضى عهد العظمة « الأقصرية » بعد ذلك التاريخ ؟

وكيف انتقل مجد مصر من الجنوب إلى الشمال ؟

تلك أسئلة توجه إلى الأستاذ عبد القادر حمزة ، فهل يجيب ؟

أما أنا ، فأقول : كان المصريون تحصّنوا بالأقصر ليسلموا من عدوان الوافدين من جهة الشمال ، وبذلك حصروا نشاطهم الفنى والاقتصادى فى « كعبة » الأقصر ، كما حصر العرب نشاطهم الفنى والاقتصادى فى « كعبة » الحجاز ، والتاريخ هو التاريخ ، وإن تلوّنت الأشعة والظلال

عراقة المدنية المصرية

شغل المؤلف نفسه بالتدليل على عراقة الدنية المصرية ، وهى أقدم مدنية عرفها التاريخ ، ولا ينافسها فى القـدم غير حضارة الكلدان فى وادى الفرات

وعلى الطالب أن يقرأ ما كتب المؤلف فى هذا الموضوع بعناية وتدقيق ، ولكن يجب قبل ذلك أن يعرف الأصل الذى استوجب عراقة المدنية المصرية ، وذلك الأصل هو النيل ، فالنيل هو النهر الثانى فى العالم بعد المسيسبى من حيث القوة ، ولكنه النهر الأول فى العالم من حيث المدنية ، فهو أقدم نهر قامت على شواطئه كبريات المدائن ، وأقدم نهر نُظِّمَتْ فيه الملاحة واتخذت مياهه مطايا لخدمة الاقتصاد ، وهو كذلك أقدم نهر أوحى إلى أهله عرائس الشعر والخيال

فإذا تمثّل الطالب هذا المعنى كان عليه أن يذكر أن المصريين أسبق الأمم إلى حفر الآبار ، لأن أرض مصر لينة جداً ، ولأن الماء مخزون فى جميع البقاع بهذه البلاد ، وقد يوجد فى سفوح الجبال ، وهذا وذاك يشرحان السبب فى تعلق المصريين بواديهم أشد التعلق ، حتى صاروا مثلاً فى بغض الهجرة والارتحال

أقول هذا لأؤيد حجة الأستاذ عبد القادر حمزة فى قوله بأن الدنية المصرية بِنْت مصر لا بنت شعب آخر ، ولو قال إنها نَبْتُ مصر لكان التعبير أظرف ، لأن الدنية المصرية نشأت فى خصائصها الأصيلة وكأنها من عمل الطبيعة لا من عمل الناس

والمشكلة هى درس مسألة السبق إلى الدنية ، فهل كان السبق للمصريين أم للكلدانيين ؟

ولكن كيف خُلِقت هذه المشكلة؟ خلقها التشابه بين المدنية المصرية والمدنية الكلدانية في كثير من الشؤون. فهل يدل هذا التشابه على النقل؟ أم يكون شاهداً على تبادل الصلات الأدبية والاقتصادية بين هذين الشعبين العريقَيْن؟

هنا تظهر قوة عبد القادر حمزة في التعمق والاستقصاء، فقد وصل بالمنطق وبشواهد التاريخ إلى أن المصريين سبقوا الكلدانيين إلى الحضارة والمدنية ولم يترك الموضوع إلا بعد أن صيّره غاية في الوضوح والجلاء

التقويم المصري

وفي كتاب عبد القادر قضية من أغرب القضايا الإنسانية، وهي قضية التقويم، فقد كان العالم كله يعتمد في تقسيم الزمن على الدورة القمرية، وهو تقسيم مقبول ولكنه غير دقيق، لأنه لا يصلح قاعدة لتعيين مواسم البذر والحصاد

وكذلك كان المصريون أول المتحولين عن التقويم القمري إلى التقويم الشمسي، وقد قسّموا السنة إلى ثلاثة فصول، كل فصل منها أربعة أشهر، وهي فصل الفيضان وفصل البذر وفصل الحصاد

والتقويم المصري هو التقويم الذي حمله يوليوس قيصر من مصر إلى روما، وهو التقويم الذي عدّله مجمع الكرادلة تعديلاً طفيفاً في سنة ١٥٨٢ ثم صار تقويم العالم كله إلى اليوم

وإذا تذكرنا أن التقويم المصري كان موجوداً إلى سنة ٤٢٣٨ قبل الميلاد، أي قبل حُكم الملك مينا بأكثر من ألف سنة، أدركنا فضل مصر في السبق إلى دقة الحساب

وفيما كتب عبد القادر عن هذا الموضوع صفحات جديرة بالدرس والتعقيب، فليس من القليل أن نكون دِنّا أمم الشرق والغرب بذلك التقويم الدقيق.

معركة عقلية

هي المعركة بين الكنيسة وعلم الآثار المصرية، وهي المعركة التي انتهت بانهزام الكنيسة ورجوعها صاغرة إلى أن تفسّر التوراة تفسيراً جديداً لتسلم من التصادم مع الآثار المصرية

فما سبب تلك المعركة؟ ومن الرجل الذي درس البروج المصرية ثم انتهى من درسها إلى القول بأن الحضارة المصرية ترجع إلى أبعد من خمسة عشر ألفاً من السنين؟ وما الذي قال العلماء الموافقون لبونابارت؟ وما هو البُرج الذي نُقل إلى فرنسا فبَلبَلَ الأفكار الأوربية؟ ومن هو الشاب الفرنسي الذي أدى لمصر أعظم خدمة تاريخية ثم حمله الخوف من سلطان الكنيسة على المواربة في قضية البروج؟ ومن هو العالم الذي قرر أن الثقة بالمسيح لا تمنع من مسايرة الحقائق العلمية؟ وعلى أي أساس برّرت الكنيسة خروجها على حَرفيّة العهد القديم لتصح النظرية المصرية في قدم الوجود؟

عقيدة الحساب بعد الموت

ذلك بحث نفيس كتبه عبد القادر في أيام صفاء، فما تفاصيل هذا البحث؟

لهذا البحث عناصر كثيرة، ولكني أرجو أن يفكر الطلبة في الموازنة بين الأخيلة المصرية والأخيلة اليونانية ليعرفوا كيف استطاع المؤلف أن يقيم البراهين السواطع على أن المصريين سبقوا اليونان إلى تصور عقيدة الحساب بعد الممات بما يدل على فهمهم لفكرة العدل

ودرس هذا البحث يُعين على فهم البحث الذي يليه وهو تأثير المدنية المصرية في المدنية اليونانية وتبيين ما اقتبس هوميروس من أساطير المصريين

وهذان البحثان يهمّان كل مصريّ يحب أن يعرف مركز وطنه في التاريخ، فقد استطاعت أرض يونان أن تزعم أنها أخصب فكراً من وطن النيل، وساعد على تأييد هذا الزعم أن كان العرب سفراء العقل اليوناني في الممالك الأسيوية والأوربية، في أوقات لم يملك فيها المصريون أدوات النقض لمزاعم اليونان

لمحة من التحقيق

المصريون هم أساتذة اليونان القدماء باعتراف الجميع، ولكن العقل المصري كان غفا بعد أن تعب من اليقظة التي هدّمت أعصابه في عشرات الأجيال؛ ثم كانت صحوة العقل اليوناني بعد ذلك، وهي الصحوة التي عرفها العرب يوم عزموا على «إحياء» المطموز من آثار القدماء. فمن طاب له أن يزعم أن مصر تعيش بعقلية يونانية فسيقهره المنطق الحق على الاعتراف بأن اليونان لم تؤدّ إلى مصر إلا بعض ما تلقّت من عِلمها الأصيل في العصور الخوالي، ولا بُدّ يوماً أن تردّ الودائع، ولو كَرِهَ كهنة دِلف وسَدَنة أولون!

نفسية المرأة الحديثة

مقتبسة من آراء العلامة « يونج »

للدكتور محمد حسنى ولاية

لا شىء يضر طبيعة المرأة نفسياً أكثر من قيامها بأعمال الرجال . ولما كانت طبيعة الإنسان مشتملة على عنصرى الأنوثة والذكورة معاً ، فإن الرجل يستطيع أن يعيش بالمرأة التى فى نفسه ، كما أن المرأة بدورها تستطيع أن تحيا بالرجل الكائن فى طبيعتها ، وفى ذلك ما يقيد ذاتية الشخص الأساسية ويقضى عليها . فلا بد للرجل من أن يعيش كرجل ، ولا بد للمرأة من أن تعيش كامرأة

إن تصرفات المرأة وانفعالاتها لا تتأتى من عقلها الباطن مباشرة ، بل هى من خصائص طبيعتها الأنثوية ، فليست انفعالاتها ساذجة ، ولكنها ترمى إلى غرض لا تصرح به .

إن ما يصدر من الآراء عن عقل المرأة الباطن يسير بها فى طريق شاذة ، فهذه الآراء تنتحل صفة الصدق والواقعية ما دامت لم توضع رهن الانتقاد الواعى . وهى تشبه تصرفات الرجل فى غموضها إلى حد ما ، كما أنها تشبهها فى عدم وصولها إلى العقل الواعى غالباً ، وعلى ذلك يندر أن ندرك ألوانها على حقيقتها

إن الافتراضات والأفكار المنتمية إلى العقل الباطن لهى ألد عدو للمرأة ، وذلك لأنها قد تنمو وتكبر فى شكل هوى شيطانى يستقبح الرجال ويخنق جاذبية المرأة وأنوثتها ، وينتهى مثل هذا الاتجاه إلى انفصام عميق فى الذاتية أو بعبارة أخرى إلى عصبية . على أنه ليس من الضرورى أن يصل الأمر إلى هذه الخاتمة ، لأن تلون عقلية المرأة بالذكورة يؤدى فى حد ذاته إلى نتائج سيئة غير العصبية . فقد تكون مثل هذه المرأة زميلة طيبة للرجل ولكنها لن تشق طريقها إلى مشاعره وعواطفه ، وهذا من قبيل تفاعل دفاعى ضد طابع الجنسية الذكرية .

إن كل ما حرم على المرأة فى العصور الخالية قد تجمع الآن وتمخض عن حدوث عمليات تعويض نفسى ، ورسل هذه العمليات هن كاتمات السر والمختزلات والمشتغلات بالأزياء ، وهن اللاتى يقوضن أركان الزواج باتباعهن ملايين من الطرق الخفية ، وليست رغبة أولئك النساء موجهة إلى مناصبة العلاقات الجنسية والمجازفات الغرامية العداء ، بل محاربة الزواج هى غايتهن ، فهن يرمين إلى مطاردة المرأة المتزوجة ، ولكن بوسائل غامضة هادئة عنيدة تعمل كالسحر مثل عين الثعبان الجامدة

فما هو موقف المرأة المتزوجة من هذا ؟... لا ريب فى أنها تتعلق بالفكرة القديمة التى تلقى اللوم على عاتق الرجل والتى تتضمن استطاعة الإنسان أن يصنع الحب بمحض اختياره ، وأنها على أساس هذه التصورات الجاهدة تنطوى على نفسها فى جو من الغيرة . على أن هناك أثراً أعمق من هذا ، فما من امرأة تستطيع

قصة الغريق

هى قصة أوحت ما أوحت إلى الآداب العربية والآداب الإنجليزية ، فكيف كان ذلك ؟

الطلبة هم المسئولون عن مراجعة هذا الفصل النفيس ، وعما كتب المؤلف فى الاستشهاد بآيات التوراة لتبرير ما جاء فيه من تكرير وترجيع

رسائل مصرية وفلسطينية وسورية

هو بحث شائق لا يحتاج إلى من يدل عليه ، وهو يشرح وسائل قدماء المصريين فى تسجيل الرسائل واللوائح والقوانين

الصور ، الصور ، الصور

بهذا الكتاب صور فنية نقلت عن المعابد والهيا كل والقبور ، وهى تحتاج إلى درس خاص ، فهل ينظر إليها الطلبة نظرة فحص وتأمل وتدقيق ؟

لو كنت أملك الوقت لكتبت عن هذه الصور صفحة أو صفحتين أو صفحات ، فهى أروع ما حفظ من آثار القدماء ، ولو كنت أملك المال لدعوت جميع طلبة السنة التوجيهية إلى رحلة فنية نتعرف بها إلى آثار مصر فى الشمال والجنوب

لم يبق إلا أن أوجه أنظارهم إلى أن هذه الصور ستكون حتماً مما تفكر فيه لجنة الامتحان ، فقد سمعت أن فى أساتذة الجامعة المصرية قوماً يهتمون بالفنون !

ثم أكتفى بهذا القدر فى توجيه الطلبة إلى فهم كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم »

زكى مبارك

أن تتفادى أثر الحافز الذى يعمل فى الخفاء فى ذلك الجو الذى ربما غمرتها به ... أختها مثلاً ... ذلك الجو القاسى الذى لم تعش فيه بعد . وحينئذ يستبد بالمرأة المتزوجة ريب فى أمر الزواج

إن إمكان منع الحمل قد مهد السبيل للمرأة غير المتزوجة لأن تحيا حياة تشبه الزواج ، بل هو قد أصبح ذا أهمية للنساء المتزوجات . ولكن التخلص من حوافز نفسية عظيمة متعلقة بإنجاب الأطفال يؤدى إلى حدوث اضطراب فى التوازن العقلى ؛ فالطاقة التى لا تجد هدفاً واعياً تقوى العقل الباطن وتسبب الشك وعدم الاطمئنان

ينطوى الزواج فى عرف المرأة على علاقة مطلقة لا تربطها بالزوج فحسب ، بل بالأطفال والأقارب ، فإذا كان الرجل مستحوذاً على المرأة ضاق بهذا الإطلاق ذرعاً لأنه يجدها موزعة بين أطفالها والأقارب وبين نفسه . ولما كان أكثر الرجال عمياً فى غرامهم بزوجاتهم فإنهم يعتقدون أنهم ملكوا نواصى زوجاتهم واستحوذوا عليهن كلية

وترى المرأة أن الزواج علاقة روحية ، وأن المسألة الجنسية ليست سوى عامل ثانوى مرتبط بالزواج

وكما ابتدأت المرأة فى نهاية القرن التاسع عشر تنحاز إلى الذكورة فقد انحاز الرجل بدوره فى شىء من التردد إلى الأنوثة

المرأة أغنى نفسية من الرجل، فهو يقتنع فى أكثر نزعاته بالمنطق فقط، ويعاف ما ينضوى نفسياً تحت لواء العقل الباطن لأنه لا يعبأ إلا بالواقع ، ولا يعنى بالبدوات والمشاعر التى لا تنطبق على الواقع .

أما بالنسبة للمرأة فإن أكثر ما يهمها معرفته ماهية شعور الرجل إزاء أمر أكثر من فهمها الأمر نفسه . وكل ما يعده الرجل سفاسف وترهات ينال اهتماماً خاصاً من ناحية المرأة ، وإن كثيراً مما يمكن رؤيته بوضوح فى المرأة لا يمثل فى الرجل إلا عملية ضئيلة غامضة لا يرغب غالباً فى أن يعبر عنها

حتمت الظروف المرأة على أن تتحكم فى شىء من الذكورة ، وهذا هو الشىء الوحيد الذى ينقذها من البقاء فى أنوثة عتيقة غريزية . أما الرجل فيضطر لأن ينشئ فى نفسه بعض صفات أنثوية . وهذا واجب عليه نحو نفسه لا قبل له بأن يتفاداه ما لم يفضل أن يعثر خلف المرأة فى شكل طفل بائس لأنه مستهدف لخطر سيطرة المرأة عليه

يرى رجل اليوم أن الزواج الحديث حافل بالمشاكل وترى المرأة الحديثة أن زواج القرون الوسطى لم يعد زواجاً مثالياً ، فالذكورة التى اكتسبتها المرأة تجعلها ترفض أن تقول : « إنه سيكون سيدى » فالذكورة تعنى أنها تعرف هدفها فهى تعمل كل ما هو ضرورى لإصابته

واكتسب الرجل بدوره أنوثة فى نفسه بعد بذل مجهود ليس بالقليل وعلى حساب كثير من الألم الذى عاناه . وهو لن يفرط فيما اكتسب لاقتناعه بأهميته

إذا نظرنا عن بعد إلى الرجل الحديث والمرأة الحديثة تبادر إلى ذهننا أنهما لا شك ناجحان فى زواجهما، ولكننا إذا رأيناهما عن كثب بدا لنا الأمر على النقيض لأن زواجهما إنما ينطوى على كفاح جديد ، فكل ما تريد أن تفعله المرأة كصدى لإرادة وعيها الحديث النشأة لإيلام الرجل، كما أن المشاعر التى يستكشفها الرجل فى نفسه ليست مناسبة للمرأة، فهما يريان أن ما استكشفاه فى نفسيهما حديثاً يمثل الجانب الوضيع من كل منهما ؛ ذلك لأن ذكورة المرأة لا تقل ضعة عن أنوثة الرجل . ولكننا من ناحية أخرى نرى أن فى المجموعة التى نسميها « الشخصية » ناحية غامضة ، فلا بد أن يكون الرجل القوى ضعيفاً من جانب ما وأن يكون الرجل الذكى غبياً من ناحية ما حتى يمكن للمرأة أن تعيرها الثقة ، فالمرأة تحب ضعف الرجل القوى أكثر من قوته، وغباوة الرجل الذكى أكثر من ذكائه

إن حب المرأة يلتمس الرجل كله كوحدة ... ليس الجانب الذكرى منه فحسب بل ذلك الشىء الذى ينافى الذكورة فيه أيضاً . وليس حب المرأة بعاطفة مجردة بل هو رغبة حيوية تخلو أحياناً من العاطفة، وقد تدفع المرأة أحياناً إلى التضحية بنفسها . والرجل الذى تغمره المرأة بمثل هذا الحب لا يستطيع أن يتجاهل الشطر الوضيع من نفسه إذ ليس فى مقدوره أن يواجه المرأة إلا به وأن يكون مغموساً فى قرارة نفسه

وليست قرارة الإنسان متشابهة فحسب بل هى متكافئة مع طبيعة الإنسان الأبدية التى تربط كل الإنسانية التى تمثلها صورة الحياة البشرية فى أعاليها وأعماقها المشتركة بيننا جميعاً ، فنحن لن نكون أشخاصاً مختلفين فى قرارة نفوسنا بل ندرك الروابط المشتركة التى تربط الإنسانية جمعاء . وفى هذه الأعماق نطرح

الفوارق الاجتماعية السطحية من شخصياتنا . ونصل إلى أساس المشاكل التى تعرض لنا فى حياة اليوم . وهـذه المشاكل تمثل الحقيقة الواقعة ، لأننى هنا أشعر وأعرف أنى واحد من كثيرين وأن ما يحدونى يحدو الكثيرين . إننا فى ناحية قوتنا مستقلين ومنفردين بحيث يمكننا تشكيل مصيرنا بما نريد ، ولكننا فى ناحية ضعفنا يعضنا معتمد على البعض الآخر ومرتبط به ، وهنا يمثل كل منا آلة فى يد القضاء ، فليس الفرد هنا هو الذى يحكم بل هى الإرادة البشرية

ينطوى معنى الحياة الحقيقى على اكتساب الشخص قوة التغلب على العزلة الشخصية والابتعاد عن الأنانية فى سبيل اشتراك فعّال فى حل المعضلات الحديثة

فإذا أرخت امرأة اليوم تماسك الزواج واعية أو غير واعية ومستقلة استقلالاً روحياً أو اقتصادياً فإن هذا لا يأتى بدافع الرغبة الشخصية ولكن بدافع الرغبة الحيوية ذات القوة المسيطرة المستقرة فى أعماق البشر التى تتخذ من المرأة الفردية آلة لها

يمثل الزواج قيمة اجتماعية أدبية لا نزاع فيها، وليس الحط من هذه القيمة إلا من قبيل الفوضى . إن عدم تكامل الإنسانية ليس إلا نشوزاً يقطع انسجام نغمات مثلنا ، ومن سوء الحظ أننا لا نعيش فى الدنيا التى نريدها بل فى دنيا الواقع حيث يتناحر الطيب والخبيث ويهدم أحدهما الآخر ، وحيث لا تستطيع الأيدى البيضاء التى خلقت للابتكار والإنشاء تفادى التلوث بالدنس ... وكلما استجد شىء عرضة للنقد ومحط للريبة فهناك دائماً من يؤكد لنا وسط عاصفة من التصفيق أن لا شىء حدث وأن كل شىء يسير فى نظام

وإذا نفذت أبصارنا إلى كثير من الزيجات ألفينا بها كثيراً من أعراض ضعف خفى يتمخض عن مشاكل زوجية تشمل كل تصرفات الزوجة (والزوجة فقط) التى لا يمكن احتمالها كالعصبية والخيانة الزوجية

إن أولئك الذين يرون أنفسهم غير مضطرين إلى مجاراة ميول العهد الحديث يعتقدون فى مثال الزوجية ويعتنقونه ، وعندما يتهدم مثال الإنسان دون أن يحل محله شىء أفضل منه فإن الخسارة لا تعوض ، ولذا تظل المرأة مترددة سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة فهى لا تجسر على العصيان بكل قلبها وإنما تظل فى حيرة

لقد أصبح الزواج أحسن حل وكل من لم يدخل فى حظيرته عليه أن ينحى على أخطائه

لم يعد الزواج سهلاً بالنسبة للمرأة الحديثة . وما دامت هناك فقرات قانونية تشرح ماهية الخيانة الزوجية فإن المرأة لا بد أن تظل متخبطة فى شباك الشك

ويصح أن نتساءل « هل تعرف الفقرات التشريعية ما هى الخيانة الزوجية ... وهل تعريفها لها هو الشكل النهائى الأبدى الصادق ؟ » فن الناحية النفسية — وهى الناحية التى تعنى المرأة — ترى فى هـذه الفقرات تشكيلة هازلة كما هو الحال فى كل ما يصطنعه الرجل لوضع قوانين تتعلق بمسائل الحب

وكثيراً ما يتعدى المؤمنون بالقانون حدود قوانينهم بما اتسموا به من غباوة ، أو بالخنوع لإغراء المرأة أو لجرد الرذيلة المختلطة بنفوسهم . وإن المرأة الحديثة لتتساءل عما إذا كانت تنتمى إلى هذه الفصيلة ... أما من الناحية التقليدية فهى بلا ريب منتمية إليها . وعليها أن تفكر فى ذلك لاستجلاء الحقيقة حتى تهدم أصنام الاحترام التى نصبت فى نفسها

فما معنى أن يكون الإنسان محترماً ... أمعنى هذا أن يلبس قناعاً مثالياً يستر به حقيقته عن الناس ... أمعناه أن يكون خادعاً ... إن الطيبة ليست خدعة، ولكن عند ما يحبس الاحترام الروح ... تلك الروح الحقيقية المقدسة لا يصبح الإنسان إلا ذلك الشىء الذى وصفه المسيح بأنه « القبر الأبيض »

لقد أصبحت المرأة الحديثة على بينة من الحقيقة التى لا نزاع فيها ... إنها تستطيع أن تبلغ الأسمى والأحسن فى مجال الحب فقط ؛ وإن هذه المعرفة تحدوها للوصول إلى نتيجة أخرى هى أن الحب أبعد وأسمى من القانون . وإن احترامها الشخصى ليضيق حينئذ بنفسه ذرعاً . ولكن هناك ميلاً غريزياً يوفق بين تفاعلها والرأى العام وهذا أهون الشرين . أما أهول الشرين فهو أن يسرى هذا الرأى أيضاً فى دمها . وهو يبدو لها كصوت داخلى يبعثه الضمير وكقوة كامنة تقفها عند حدها

إنها لم تكن قط واعية للحقيقة المنطوية . على أن أعمق ما تملكه فى ذاتها يمكن أن يجعلها تصطدم بالتاريخ ؛ ولا ريب فى أن هذا الاصطدام يبدو لها مستهجناً وغير منتظر . ولكن أين هى التى فهمت واستوعبت جيداً هذا التاريخ كحقيقة واقعة

فليس هذا موجوداً فى المجلات الضخمة ولكنه يعيش فى الدماء

وما دامت المرأة تحيا حياة الماضى فهى لن تصطدم بالتاريخ ولكن يندر أن تنحرف المرأة عن ميل ثقافى سيطر على التاريخ. والآن نرى أن ترددها أصبح مفهوماً لأنها إذا خضعت لقانون الحب وقعت فى هاوية الألم والشك والحيرة، وتبعثرت بين عاملين كبيرين: الجمود التاريخى والقوة الإلهية المبتدعة

فى النهاية لا تجد حلاً سوى أن تنبذ الجمود التاريخى، وحينئذ يتعين عليها أن تبتدع لنفسها تاريخاً جديداً أو أن تتملق بالتاريخ وتخضع له. ولكنها لا تستطيع أن تبتدع تاريخاً حديثاً ما لم تجرؤ على المخاطرة بكل شىء لتحقيق غرضها ولو ضحت بنفسها، لأن موضوع التجربة هو ذاتها التى تنتهى بها إلى نهاية مزرية. وهى عند هذا الحد لا ترى حياتها خلفاً لسلف بل تبدأ حياتها هنا. وهذا بمثابة تعبير ثقافى موروث يرى إلى إيجاد شكل إنسانى أتم، وإلى إيجاد معنى للحياة، وإلى نبذ انتحاء الإنسان ناحية واحدة من الحياة، وإلى تطليق حياة غريزية محضة

إن المرأة ترى الآن أن الحب وحده هو الذى يمنحها قوامها، وأن الرجل الآن يستطيع أن يدرك أن الروح فقط هى التى تمنح حياته أسمى معانيها. وكل من المرأة والرجل يسعى إلى علاقة نفسية تربطه بالجنس الآخر، فالحب فى حاجة إلى الروح والروح فى حاجة إلى الحب

إنها تشعر الآن بأنه لم يعد فى الزواج طمأنينة ولا استقرار حقيقى؛ فأى معنى سام يحمله إخلاصها إذا كانت تشعر بأنها مكبلة بأغلال الشهوة التى ترمى إلى اقتنائها اقتناء قانونياً يحبس روحها. هناك إخلاص أهم من هذا يلوح لها، إخلاص للروح والحب، إخلاص يقوى على غزو الضعف الإنسانى وعدم نضوجه ليقضى عليه. وربما تستطيع الوقوف على أن ما هو ضعيف وغير ناضج ليس إلا فوضى مؤلمة أو طريقاً معوجاً بالقلق، وأنه يستطاع تفسير ما استكشفته تفسيراً مزدوجاً تبعاً لطبيعته المشكوك فيها

وهناك فى هذه التطورات طريق يؤدى إلى الإنسانية العتيقة التى تهوى إلى مستنقع العقل الباطن، طريق تؤدى إلى هدم الشخصية والقضاء عليها

إن الإنسان الذى يستطيع أن يحتفظ بما اكتسبه هو الذى يستطيع أن يختبر لأول مرة معنى الذات، وحينئذ يستطيع أن يغوص فى نفسه حتى يبلغ الإنسان الفطرى المستقر فيه

فكيف يستطيع أن يحرر الإنسان نفسه من ذلك الإنسان الفطرى المتغلغل فى أعماقه ... كيف يستطيع أن يقيم قنطرة تربط ذاته بالإنسان الناضج؟

كلما أنكر الإنسان ذاته واكتسب الفضائل المثلى، كان بعيداً عن ذلك الإنسان الفطرى

إن كلمة الإنسان ذات الرنين الجميل لا تعنى فى أساسها شيئاً جميلاً أو فاضلاً أو ذكياً ولكنها تعنى دركات منحطة من هذه الصفات. إن الكفاح والخوف الذى يراودنا عند ما نحاول الانفصال عن الإنسان الفطرى يبين لنا أن قوة جاذبية عالمنا السفلى (أى العقل الباطن) ما زالت هائلة، هذه القوة التى لا يمكن إنكارها، وإذا أنكرناها فإن هذا لا يعنى الخلاص منها

لا يستطيع أحد أن يبدأ حياته بالحاضر ولكنه ينمو إليه رويداً رويداً، ومن لم يكن له ماض فليس له حاضر. فالإنسان الصغير لا يقوى على ابتكار الثقافات، فهو لا يملك شيئاً من المعرفة سوى أنه موجود، وإن العمر الناضج الذى عبر منتصف الحياة هو الذى يخلق الثقافات

مزقت بربرية الحرب الجهنمية روح أوربا ... وفى الوقت الذى تعكف فيه أيدى الرجال على إصلاح الخراب الخارجى تبدأ المرأة بدافع من سريرتها العمل على التئام جروح البشر الداخلية بتأسيس العلاقات النفسانية البشرية على أساس وطيد، ولا شىء يحول بينها وبين تحقيق أهدافها أكثر من الزواج التقليدى ... زواج العصور الوسطى ... ولن تتأسس تلك العلاقات على أساس عرق ما لم تتعطر بشذى الحرية

المرأة الحديثة فى حاجة إلى وعى أوسع مدى حتى تتعرف هدفها وحتى لا تكون آلة الطبيعة العمياء. إن وسيلة المرأة هى وسيلة الطبيعة التى تعمل بطرق غير مباشرة بدون أن ترمى إلى هدف ظاهرى، وأن يكون الهدف موروثاً فى سريرتها. على أن هذه الطرق الملتوية التى تنتهجها المرأة خطرة، فعبثاً تحاول أن تصل بها إلى أهدافها

إن على عاتق المرأة واجباً ثقافياً كبيراً ربما كان مستهل عصر جديد

محمد حسنى ولاية

في مجالس الأدب ...

بين كاتب وشاعر وخطيب

تثبت هذه الدعابة الأدبية المستطرفة من أسمار ندوة « الأهرام » حيث يجتمع فى بعض الأمسيات فريق من أصحاب الرأى وأهل الأدب فى مكتب الأديب الكبير الأستاذ « أنطون الجميل بك » فيتناولون شتى الأحاديث بروح الجد تارة والتسلية تارة أخرى . وقد تساءل الأستاذ الخطيب « توفيق دياب » عن وحى الشاعر « على محمود طه » وكيف طال اختفاؤه وسكوته فى هذه الأيام وبدأ بنظم قصيدة على لسان الشاعر فى هذا المعنى استهلها بالشطر الأول من مطلعها ، وأتم الجميل بك شطره الثانى ، وأملى الشاعر البيت الثانى ثم ترسل ثلاثتهم فى النظم حتى أتمها صاحب الوحى المفتقد

يا وحيَ شعرى أين أنتْ   فى أيِّ زاويةٍ رَكَنْتْ ؟
هل رُحْتَ فى إغماءة   أم بالمخـــدِّرِ قد حُقِنْت ؟
أم نمت ، أم نام الزما   نُ ، أم اعتُقِلت أم انسجنت ؟
أم خِفْتَ من قلم الرقيـــب   فما أشرتَ وما أبنت ؟
أم هل سقاك (كرزوزة)   أم هل سقاك (البرمنت)(1)
أم قد شربتَ زجاجةً   من صنع بار (الكونتننت)(2)
أم فى خزانةِ (صالح)(3)   تركوكَ سهواً فاختُزِنْت
أم فى البنوك لأزمــةٍ   حلّتْ بأهلكَ قد رُهِنْت
أم ذاك جنـــدولُ الحبيـــبِ   إلى لياليـــه حننت
وإلى عروس البحر همـــتَ   وفى شواطئها كنت
أم زُغْتَ يوم الانتخــا   بِ ولستَ عضوَ (البرلمنت)(4)
لم تَدْرِ ما نال الرئيـــسُ   أكان صوتاً أم (كَرَنت)(5)

---

(١) غراب اسمه البيرمنت ذكر هكذا للتخفيف
(٢) فندق الكونتننتال
(٣) الأستاذ صالح من سفراء صاحبة الجلالة له خزانة مشهورة داخلها مفقود وخارجها مولود
(٤) البرلمان
(٥) رقم أربعين بالفرنسية وفى هذا إشارة لانتخاب الرئيس سعادة أحمد ماهر باشا

أنكرت ضَجّةَ معشرٍ   لم ينصفوكَ وقد غُبِنْت
أم طِرْتَ فى جوِّ الحليـــفةِ   منجداً أبطالَ (كِنْت)(1)
يا وحيُ كم من غارةٍ   شعواء فيها قد شننت
أم ثُرْتَ للحقِّ الطعـــينِ   وبالبطولةِ قد فُتِنْت
فسللتَ سيفَ مدافعٍ   عن (كالماس) أو(كُرِنْت)(2)
يا وحيَ شعرى ما سكو   تك فى الخطوب ألا حزنت !
أفقدت رشدكَ أم شعـــورك   بالحياة ؟ إذَنْ جُنِنْت !
عشرون يوماً جاوز التقـــديرُ   فيها ما ظننت
عشرون يوماً أتقن الطيـــان   فيها كلَّ (سَنْت)(3)
عشرون يومًا والبوا   رجُ مائلات فى (تَرَنْت)(4)
والجيش مرتدٌّ يو   لول كلُّ جندى كبنت
يا وحى شـــعرى مذ نأ   يتَ وَهَي بيانى أو وهنت
بعد القصائد كالقـــلا   ع مُشَيَّدَاتٍ (بالسمنت)
من كلِّ بيتٍ مشرق   يُزرى بقصر (اللابرنت)(5)
أمسيتُ بعدك كلُّ قا   فيةٍ نطقتُ بها لحنت
يا وحيَ شعرى هل أُسِرْتَ   وأنت تهجم أم طُعِنْت
أم غصتَ فى لجج البحا   ر وفى مجاهلهـــا دُفِنْت
أبكى عليك بكاء (لامرتيـــن)   قبراً فى (سُرَنْت)(6)
يا وحيَ شعرى أين أنت   فى أى زاويةٍ ركنتِ ؟!

---

(١) مقاطعة انجليزية ورد ذكرها كثيراً فى أنباء الغارات الجوية على انجلترا
(٢) كالماس نهر فى شمال اليونان اندحر عنده الايطاليون ، وكورنت شبه الجزيرة اليونانية وقد حاول الايطاليون تخريبها بالطائرات
(٣) جزء من مائة من الليرة
(٤) الحادثة البحرية المشهورة وفيها أصيبت بوارج الأسطول الايطالى بطوربيد الطائرات البريطانية
(٥) من قصور الفراعنة لا تزال آثاره بالفيوم
(٦) خليج سورنتى شمال نابلى وفيه قبر جرازيلا التى بكاها الشاعر الفرنسى لامرتين فى قصيدته (الأسى الأول)

محاورة أفلاطون الخيالية
حول التربية الانجليزية
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٤ —

التربية فى كل الأمم وسيلة لاعداد الحكام والمحكومين . ويساير نظام التربية دائما نظم الحكم القائم . ولما كان نظام الحكم دمقراطيا فى انجلترا كانت الغاية من التربية فيها هي أن يعرف الفرد كيف يساهم بنصيبه فى الحكم الديمقراطى ، أو الحكم الذاتى ؛ أى حكم الشعب نفسه بنفسه . وقد أظهر أفلاطون — فيما سبق نشره من محاورته — شكه في أن نوع التعليم الذي يتلقاه الشعب فى المدارس الأولية كاف لامكان الفرد من الاشتراك فى الحكم الديمقراطى بانتخابه ممثله النيابى ، والاشراف على سياسة الحكومة . ويرى أن يترك أمر الحكم نهائيا للجامعيين الذين هم خيرة أبناء الأمة ثقافة . والمربى الانجليزى لا يشاركه هذا الرأى ، لأنه يقصر الحكم على الطبقة المتعلمة من أبناء الأرستقراط . وفى هذا رجوع إلى الوراء بنظام الحكم الى العهد القديم الذى كان رجال الحكم فيه هم أولئك الذين تخرجوا فى مدارس أولاد الأعيان (١). وهنا يبدأ أفلاطون هذا الجزء الأخير من محاورته .

ومدارس أولاد الأعيان هذه أقدم مؤسسات التعليم الانجليزية . وهى طراز من مدارس التعليم الثانوى . ومن أشهرها أيتون وهارو . ولا يدخلها إلا أبناء المثرين لكثرة نفقاتها . وفيها تخرج عدد كبير من قادة الرأى ، والساسة الانجليز ، وأغلب أعضاء حزب المحافظين . وبالرغم من فضلها التاريخى فى نهضة انجلترا نجد الآن من يقول بعدم صلاحيتها فى عصر الديمقراطية .

أفلاطون : لقد ذكرت فى حديثك السابق مدارس أولاد الأعيان ، وإن ما سمعته عنها يجعلنى أوقن أنها كانت يوماً ما ذات آثار جليلة . فقد كانت تأخذ الناشئة من أبناء الأرستقراط ، وتبعدهم عن نفوذ الأسرة ، وتقدم إليهم نوعاً من التربية السليمة فى الأخلاق ، وآداب اللغة ، والتمارين البدنية والألعاب ، من غير أن تحاول تنمية الناحية العقلية الفلسفية عندهم . وبهذا غرست فى نفوسهم حب الطاعة ، والإخلاص لتقاليد البلاد واحترامها ، وصاغت منهم نماذج صالحة لتكون حكاماً أمناء ، وجنوداً أشداء ، عقدوا النية على صيانة دستور البلاد ، وحماية نظام الحكم فيها ، والدفاع عنه ضد أى تغيير . وبإبعاد الناشئة هكذا عن نفوذ الأسرة لم تفسد تكوينهم العواطف المائعة التى يسرف الآباء فى إحاطة أبنائهم بها ، ولا شواغل المال والفقر التى هى دائماً حديث الأسرة . فعاشوا فى أماكن جميلة ، واكتسبوا بمعاشرة بعضهم لبعض واشتراكهم فى الحياة المدرسية صفات الرجولة النبيلة التى خلقت منهم خداماً للوطن مطيعين ، وقضاة أو حكاماً أو إداريين نزيهين ، رائدهم العدل والحق

وهذا النوع من المعاهد وما يليه من الجامعات أحسبه جديراً بالصيانة والبقاء . ولو كنت أعرف أنه من المجدى حث شخص مثلك لنصحتكم أن تجعلوا نظام هذه المعاهد جزءاً من نظام تربيتكم الحديثة ، ولكن يمنعنى من حث هذا اعتقادى أن هذه المعاهد لم تبلغ فى تطورها درجة الكمال . وذلك لأسباب حيوية ثلاثة : السبب الأول هو أن أبناء مدارس أولاد الأعيان لم يتخرجوا فيها على فلاسفة ، ولكن على أفراد لا يمتازون كثيراً عنهم . ونتيجة هذا أنهم حينما أصبح زمام الحكم بأيديهم لم يستطيعوا توجيه جمهور الشعب من عمال وصناع وتجار التوجيه الصحيح الصالح . ذلك لأن عصر الاختراع العلمى العملى قد أتاح لهذه الطبقة من الشعب أن تجمع القناطير المقنطرة من الثروة بمجهود قليل . ولم يكن عند طبقة الحكام وولاة الأمر من قوة التعقل وفلسفة الحكم ما يجعلهم يتداركون ما حدث من نمو حب المال فى نفوس الشعب ، وروح الطمع والجشع المادى . وسرت هذه العدوى لطبقة الحكام أنفسهم ، بل لرجال الدين فلم يحاربوا هذه الميول ، وأصبحوا خاضعين لها بدلاً من خضوعهم لنداء العقل والحكمة . وإننى أعتقد أن ما اتصف به حكامكم من أخلاق كريمة طاهرة خفف كثيراً من حدة المطامع المادية الاستعمارية . وكثيراً ما قضت أخلاقهم الكريمة على أسوأ ما فى هذه المطامع من آثار . وإننى أصدقك النصح أنه لن يمكنكم أن تعيشوا آمنين ، وأن تبقوا على ثراء شعبكم إلا إذا حرمتم ملكية الأرض والشركات ورءوس الأموال على حكامكم ، وأصبحوا هم عقلاء وذوى عزيمة قوية يلجمون بها غريزة حب المال والكسب . والسبب الثانى هو أن هذه المدارس كانت ولا تزال غير خاضعة لإدارة الحكومة ، ومقصورة على هذه

---

(١) Public Schools

الجماعة الغنية من الشعب التى لها من وفرة المال ما تنفقه بسخاء على تعليم أبنائها . وربما لم تكن هناك فائدة من خضوع هذه المدارس لإدارة الحكومة فى الوقت الذى كان فيه رجال الحكومة أنفسهم من الأعيان ورجال المصارف وأغنياء التجار وأضرابهم . أما الآن والحكومة شعبية ، وليس من الضرورى أن يكون أفرادها من الأغنياء ، فإن هذه المدارس يجب أن تكون حكومية لا خاصة ، وأن تفتح أبوابها لكل من تؤهله مواهبه للتعلم فيها من أبناء الشعب . والسبب الثالث هو أن جامعاتكم لم تدرك تماما المهمة الإلهية التى نصبها الله من أجلها ، لأنها وهى تخرج الرءوس المفكرة فى الدولة لم تصن خريجيها عن المطامع المادية وشهوة المال . والنتيجة هى أن رجال الحكم من أبنائها بدلاً من أن يخضعوا المادة لمبادئهم خضعوا هم لها .

من كل ما ذكرته تستطيع أن تعرف أى أنواع الإصلاح أريد إدخاله على نظام التربية . يجب أن تبدءوا من القمة فتصلحوا من الجامعات حتى تنتج نوع الحكام الذى تحتاج إليه بلادكم . ولست أزعم أن هذا سهل التحقيق . إن العلماء ولو أنهم يتمشدقون دائماً باسمى ، ويذكروننى بالإعجاب والثناء ، لم يفهمونى جيداً ، ولم يفهموا الغاية « من أكاديمى »[1] التى أسستها حتى لقد حرفوا معنى عبارة « التفكير الأكاديمى » ، فأصبحت تدل على كل تفكير عقلى لا يمت للحياة العملية بسبب . وأنا أعرف بالطبع إلى أى حد يكره فلاسفة هذا العصر وعلماؤه الحياة الحالية المحيطة بهم ويحتقرونها ، وهم لا يريدون فى الوقت نفسه أن يعترفوا أنهم طلقوا هذا النوع من الحياة لا لسبب إلا لأنهم عجزوا عن إقناع ولاة الأمر والمشرفين على شئون الأمة بمبادئهم الفلسفية السامية . ولا بد أن تتفق معى أنه لا فائدة من هؤلاء الفلاسفة العلماء ، لا لشعبهم ولا للعالم إلا إذا اعتقدوا أن هذا العالم يجب أن يحكم بمبادئ العقل والحكمة التى يدافعون عنها . وأظن أن هذا بعيد الحصول ، لأن العلماء والأساتذة الذين يتمتعون بحياة مريحة ، ورزق مضمون ، وهم مطمئنون لآرائهم وفلسفتهم الشخصية ، ليسوا مستعدين إلا قليلاً أن يخاطروا بكل هذه المزايا فى سبيل إعانة غيرهم . لهذا ستظل جامعاتكم فى الغالب قائمة بوظيفتها ، وهى تخريج رجال يخدمون العالم ولا ينتقدونه ، فرحين بالقدر اليسير من المعارف التى ينتجونها والعلم الذى يخدمونه وبالعبارات الشفهية التى يفوهون بها فى محاضراتهم وأحاديثهم عن المثل العليا للحرية العلمية والعدالة العالمية .

وفى هذه الحال يجب عليك أن تفعل كما فعلت أنا ، فتؤسس معاهد تنافس هذه المعاهد العلمية ودور التربية القائمة الآن ، جاعلاً غايتك خدمة الحقيقة ، والحقيقة فقط ، معلناً أن الحقيقة واحدة لا تتغير فى كل زمان ومكان ولكل فرد . وسوف تتهم بالتحيز والتعصب ، وأنك تفسد عقول الشباب بتعاليمك ، وتحطم المثل العليا للمبادئ العلمية الصحيحة ، فلا تصغ لهذه التهم واذكر أن الرجل العالم إذا لم يكن أيضاً رجل عمل فليس جديراً أن ينسب إلى أسرة العلماء الأكاديميين ، ولتكن الدراسة فى جامعتك شاملة للبحوث العلمية وللدربة والمران لمباشرة الإيالة[1] واكتب على باب جامعتك هذا الشعار « يجب أن يكون الحكم للعلم فقط » . ومتى ثبتت هذه العقيدة فى قلبك فلن يزعجك ما تتهم به من التحيز أو التعصب ، ومن إفساد عقول الناشئة ، لأنك ستعرف جيداً أن كل حقيقة جديدة يتهمها الناس بالزيف ، وأن اسم العدالة أداة تستخدم لإخضاع المصلحين للنظام القائم . وهناك تغيير آخر يجب أن يدخل على عقائد طلابك ، إنهم فى هذه السن كرام النفوس ، بيض القلوب ، يعتقدون بسذاجة أن الحقيقة والحكمة يمكن أن تسودا بطبيعتهما على القوة والحيلة ! وبهذا ينزلون ميدان الحياة غير مسلحين ليغزوا العالم . وسرعان ما يسفر النضال عن رضوخ فى الرأس ، وانخداع فى التفكير ، وحينئذ يظهر لهم أن الشر الذى يعيش ويترعرع فى القوة عدو لا تمكن ملاينته بالكلمة الطيبة والعاطفة النبيلة ، بل يجب أن يضرب ويصفع حتى يخضع ويصفد فى الأغلال ، وبهذا لا يستطيع النهوض مرة أخرى . وهذا الدرس يجب أن يتلقاه طلبتك كل يوم فى جامعتك الجديدة ، كما يجب أن يكتب فوق مدخل الجامعة شعار آخر وهو « لن يدخل هذه الجامعة محب للسلم » . ثم ذكر طلبتك دائماً أن حكم العقل لم يستطع ولم يفلح أن يسود البشر ولو مرة واحدة فى التاريخ باللين والرفق . ولهذا وجب على الفيلسوف أن يكون مستعداً لمواجهة خصومه بقوة وعزيمة أشد من قوتهم

(١) أكاديميا اسم البساتين التى أسس فيها أفلاطون معهده الذى سمى بهذا الاسم ، وكان قد نيف على الأربعين حين تأسيس هذا المعهد ، ومن بين تلاميذه أرسطو

(١) السياسة

وعزيمتهم . وأنا أنصح للفيلسوف أن يدرع بالقوة ، لأنى أعلم أن مبادئه ستكون دائماً عرضة لبعض الناس ، على عكس المبادئ الأخرى التى يروجها أعداء الفلسفة من حقائق مموهة يخدعون بها غيرهم . لهذا يجب أن يسلح الفيلسوف نفسه بكل أنواع القوة والشدة حتى يروض شهوات الشر المادية الجامحة فتخضع لحكم المعرفة . دع طلبتك إذاً يعلموا أنهم إذا أرادوا أن ينقذوا بلادهم من الخراب فعليهم ألا يجعلوا روح السلم تسيطر على نفوسهم ، بل يجب أن يألفوا نظام الجندية ، وأن يدربوا على الروح العسكرية ، تلك الروح التى لا تقشعر من سفك الدماء فى سبيل المصلحة العامة

ومتى ثبتت أركان جامعتك وأصبحت تشرف على شئون الدولة فوجه عنايتك بعد ذلك المدارس ، وهنا يجب ألا تزعجك أخطار مبادئ الفاشستية أو الاشتراكية الوطنية التى ذكرتها أنت فى حوارك معى . فأنت توافق على أنه حتى الحكومات السيئة لها بعض الحسنات ، وستسر وتعجب حينما تعرف أن ألمانيا وإيطاليا قد اتخذتا كثيراً من تقاليد بلادك وعاداتها ، ولا سيما نظام مدارس أولاد الأعيان عندكم ، ولكن بشيء من التهذيب يناسب حاجات الوقت الحاضر . وأعتقد أن هذا الخير سيجعلك أكثر تعلقاً بهذه المدارس فتبقيها كركن قوى للتعليم عندكم فى المستقبل ، وستقبل عليها مفتحاً أبوابها ، معلناً أنها أصلح المعاهد لإعداد القادة السياسيين . فاختر لها حينئذ من بين أطفال الشعب أكثرهم قابلية لتحمل تبعة القيادة السياسية . أما البقية من أطفال الشعب فأعد لهم المدارس الفنية ، الصناعية والزراعية والتجارية ، حيث يتعلمون المهن التى يصلحون لها . ولما كانت هذه الطبقة من أطفال الشعب ليست بذات خطر فلا داعى لأن يعيشوا فى المدارس بل اتركهم يعيشوا مع أهليهم ، ويحضروا للدروس بالنهار فقط . أما أولئك الذين اخترتهم لمدارس أولاد الأعيان فخذهم بتربية صارمة ، وامنعهم من رؤية ذويهم إلا فى أيام الأعياد والإجازات العامة ، وسير هذه المدارس فى نظامها الرياضى البدنى وفى بساطتها كمدارس اسبارطة القديمة ، وخل تلاميذ هذه المدارس يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، فلا فراشين ولا فراشات ، ولا مشرفين ولا ممرضات ، ولا أى فرد من هؤلاء الذين يحوطون الأولاد بالعناية والعطف ، ويغرسون فى نفوسهم النعومة والرقة التى تضعف من خشونة تكوينهم . واجعل التعليم فى هذه المدارس للبنين والبنات معاً من غير تمييز ، ذاكراً دائماً أن غايتك هى إعداد شعب من الجنود والإداريين ، لا هذا النوع من الجنتلمان ولا من الجنس اللطيف ذى الغيد والرقة الذى يتخرج فى مدارسكم الآن . ويجب أن يكون النظام شديداً قاسياً يمرن العقل والجسم معاً على الدقة والطاعة والإتقان ، ويكوّن فى ذوق التلاميذ الإعجاب بما هو بسيط ومتين من مظاهر الجمال التى لا يشين الجندى التحلى بها . ومن أجل هذا يجب أن يتعلموا مبادئ الحساب والعلوم ، وأن يدرسوا اللغة . هذا إلى معرفة خير منتجات آدابكم وموسيقاكم ، وأنواع الرياضة والألعاب العسكرية

ومتى فعلت هذا وجدت أنه من السهل حل معضلة التربية ، التربية العامة لطبقة الشعب التى من أجلها عقدنا هذه المحاورة . وإذا علمت أن طبقة الشعب هـذه غير قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها أدركت أنه من الضرورى أن تنمى فيها روح الخضوع والطاعة للحكام . وما دام من غير الممكن أن تعيد نفوذ الكنيسة الذى ربى هذه الروح فى الماضى ، فلا بد إذاً أن تكبت كل الكبت المذاهب الدينية المختلفة السائدة الآن فى بلادك والتى لا يفتأ بعضها يحارب بعضاً ، وأن توجد أنت ديناً سياسياً من عندك يقضى بالإعدام على كل من يؤيد مذهباً غير مذهبك الدينى . ولن تستطيع أن تفعل هذا إلا إذا كان لك الإشراف المطلق على النشر والطباعة وعلى الإذاعة وكل وسائل الإعلان ، وتسن إلى جانب هذا قانوناً يحظر تعليم أى أفكار أو مبادئ - كتابة أو شفهياً - من غير ترخيص من الحكومة ، وإلا فالعقوبة الإعدام . فإذا ما فعلت كل هـذا كان لك أن تأخذ الشعب بأى نوع من التربية تشاء ، بشرط أن تتأكد أن هذا النوع الذى تختاره من التربية لا يشمل شيئاً من الحقائق أو العلوم ، ولكنه مجموعة أكاذيب نبيلة تلائم أولئك الذين لا تسمو بهم عقولهم إلى مرتبة إدراك الحكمة الصحيحة ومعرفة الله

المربى : شكراً جزيلاً على اقتراحاتك ، وليس عندى من شك أنها تتفق ومبادئ حزب جديد نشأ عندنا يسمى الحزب الفاشستى فعليك برئيسه

أفلاطون : لم أتشرف بعد بمعرفة رئيس هذا الحزب ، فإذا كانت اقتراحاتى تروقه ، فسأعمل على لقائه

(يتبع - بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

إلى جمهرة أهل الأدب

للأستاذ إسماعيل مظهر

أوجّه هذه الكلمة إلى جمهرة أهل الأدب في مصر والأقطار العربية على صفحات الرسالة إقراراً لحق يجب أن يُقَرَّ، وردّاً لعادية ينبغي أن ترد، وتأييداً لدستور العرف المرعى بين الأدباء والناشرين وأصحاب الصحف على مختلف أنواعها

فقد نشرت مجلة الثقافة الغراء بحوثاً لحضرة الأب أنستاس ماري الكرملي نقداً على كتاب الذخيرة الذي نشره حضرة الأستاذ الدكتور جورجي صبحي بك الطبيب المصري المعروف، فتناول حضرة الأب ما شاء له علمه وبحثه أن يتناول من تصويبات في الكتاب، وحشا نقده وتصويبه بعبارات نال بها من حضرة الدكتور صبحي بك أشد النيل وأسف فيها شرّ إسفاف، فقد جاء في نقده العبارات الآتية :

١ — وهذا هو الجهل المركب الذي لا تركيب بعده وإن اجتمع جهلة العالم كله (العدد ٨١ ص ٣٧ من الثقافة)

٢ — حقيقة أني لا أفهم كيف أن مثل هذا الطبيب حصل على شهادته وكيف يجاز له أن يكون أستاذاً مساعداً في الطب في الكلية المصرية وطبيباً معالجاً في القصر العيني وأستاذاً للغة القبطية والدهماوية (الديموطيقية) إلى آخر ألقابه العديدة (العدد ٨٢ ص ٤٠ من الثقافة)

٣ — لما اتضح أن هذا التصنيف (يعني كتاب الذخيرة) ليس لثابت بن قرة، وبان بالعكس أن واضعه قليل البضاعة في علم العربية، والكاتب قبطي من أهل المائة السابعة أو الثامنة للهجرة لجهله الألفاظ الطبية وتشويهه لها، وجهله الأحكام اللغوية ومسخه لها مسخاً شنيعاً، لم يبق ذريعة لإصلاح هذه الأضرار المتنوعة إلا جمع النسخ المطبوعة — وتبلغ الألف عداً صادقاً — وإحراقها وإزالتها من عالم الوجود صيانة لشرف ثابت بن قرة، وشرف الجامعة المصرية التي فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها لأنها سمت بيمنها في الدنيا، مروجة إفساد العربية، وباثّةً الألفاظ المشوهة، وصيانة أيضاً لشرف الدكتور جورجي صبحي الذي خسر كل ثقة من صدور عارفيه، إذا اشتهر عنه أنه لا يفهم ذرواً في العربية ولا يحسن الإنجليزية، ويسيء النقل من لغة إلى لغة، ومثل هذا الأمر في طبيب طامة عظيمة لا تقدر نتائجها الوخيمة (العدد ٨٤ ص ٤٠ من الثقافة)

٤ — لو كنت وزيراً للمعارف في الديار المصرية لحكمت في أول يوم أتولى فيه الوزارة على الدكتور جورجي صبحي أن يؤدي جنيهاً مصرياً عن كل صفحة من صفحات هذه الذكرة المنسوبة ظلماً وكذباً إلى ثابت بن قرة. ولما كانت هذه الصفحات ١٨٦ في اللغة العربية و ٤٢ في اللغة الإنكليزية، فيكون مجموع ما يؤدي ٢٢٨ جنيهاً، ويزاد على ذلك حبسه يوماً واحداً عن كل صفحة أيضاً، فيسجن ٢٢٨ يوماً. فهذا أقل ما يستحقه هذا الرجل حتى لا يدفعه الغرور إلى نشر كتاب طبي آخر على هذا المثال المشوه ضناً بحياة الناس، وصوناً للغة الضاد، وتأديباً لمن يجرؤ على مجاراة هذا الدكتور في نشر الكتب وتشويهها تشويهاً شنيعاً فظيعاً، يكره في عيون الناس اللغة العربية والطب والعلماء على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم، لأن نتائج مثل هذا العمل السيء إهلاك الناس أولاً وإفساد لسانهم ثانياً، ودفعهم إلى المباهاة بأضرار الخلق ثالثاً

صاننا الله من هذه الشرور العظام الجسام، ووفقنا لخير الناس من خواص وعوام (العدد ٨٤ ص ٤٠ من الثقافة)

* * *

هذا طرف مما جاء في نقد الأب أنستاس الذي نشرته مجلة الثقافة الغراء. ولقد اتفق أني كنت عالماً بأن حضرة الأب سينقد الكتاب، وأن لهذا النقد تاريخاً قديماً ووقائع ينبغي أن يعرفها أهل الأدب ليظهروا بنشرها على لون من ألوان الأدب في هذا العصر، وليعرفوا شيئاً من العوامل التي تختفي وراء كثير من النقود التي ينشرها حضرة الأب أنستاس في مختلف المناسبات

فكتبت نقداً لما نشر حضرة الأب أنستاس وخصصت به مجلة الثقافة الغراء كالعرف السائر، وأرسلت النقد مع كتاب إلى حضرة الأستاذ أحمد أمين محررها. ولقد أرسلت النقد في الثامن والعشرين من أكتوبر فَرُدَّ إليّ في التاسع من نوفمبر مع كتاب من حضرة محرر الثقافة الغراء نصه الآتي :

(جاءنا مقالكم والذي دعانا لنشر مقال الأب أنستاس ما فيه من تصحيح علمي يسوغ لنا نشره. ولكن مقالكم — مع قيمته — معظمه تعريض بالأب أنستاس من غير مناقشة

من وراء المنظار

مصرى من الخارج

عرفته قبل أن يسافر ولقيته بعد عودته من الخارج ، وأشهد لقد آمنت إيماناً لن يكون بعده جحود بما للخارج من عظمة ، وتعاظمني ما بيننا نحن الشرقيين من بون فى الحضارة وبين سادتنا الغربيين ، حتى لقد أوشك يتملكنى اليأس من أى إصلاح لحالنا ، إلا أن نرسل جميعاً عالمنا قبل جاهلنا وكبيرنا قبل صغيرنا — اللهم خلا من سلف له أن سافر — بعثة واحدة فى وقت واحد إلى بلاد الغرب لنعود بعدها كأهل تلك البلاد لنا ثقافتهم ولنا ذوقهم ولنا أسلوبهم فيما يأتون من ضروب التفكير والأعمال ما جل منها وما هان

ولا يحملن القارئ كلامى على الهزو والمبالغة ، فالأمر أجل وأخطر من أن يسمح بشىء من هذا ، ولو أنه رأى ذلك الذى أتحدث عنه ، كما رأيته قبل سفره وبعد أوبته ، لأيقن أنى جاد كل الجد مقتصد غاية القصد فيما أقول .. وحسبك أنه اغترب زمناً ثم عاد إلى وطنه العزيز وهو شخص آخر قد تغير تغيراً جوهرياً من جميع نواحيه إلا ناحية واحدة ستعلم نبأها بعد حين ؛ وقد تم له ذلك على صورة أرى من اليسور معها على أن أصدق أن لماء التاميز وغيره من أنهار انجلترة فعلاً سحرياً ، فما هو أن ينزل المرء فيه ، أو أن يغترف منه غرفة فحسب ، حتى يصبح مهما كانت جنسيته ، بل إنه ليصبح وإن لم تك له جنسية إلا تلك الحلقة المفقودة التى لفقها خيال العلماء ، إنجليزى المظهر والجوهر والخلق !

ما ذهب صاحبنا هـذا مذهباً فى حديث له إلا جعل غايته تلميحاً أو تصريحاً أن يلقى فى روع السامع أنه كان فى انجلترة ، وأنه بذلك فوق مستوى من لم يتوافر له مثل حظه مهما تكن مكانته ؛ وكيف يكون لمن لم يحظ بذلك مكانة فى نفسه على أية صورة من الصور ؟ كذلك يعتقد ذلك الأستاذ الذى يتندر تلاميذه فيما أعلم من عبثهم أنهم يحصون عليه إشاراته إلى ذلك الشرف فى دروسه ، وإن أحدهم ليراهن صاحبه على درس يأمل أن ينسى فيه الأستاذ ذكر ذلك ، ولـكنه يخسر كل مرة ، حتى لتحدثه نفسه أخيراً أن يذهب إلى أستاذه فيتوسل إليه أن ينسى مرة واحدة وله ما شاء بعدها من الإذعان والمودة !

وكيف ينسى الأستاذ ، وإن هذا الأمر ليجرى فى نفسه مجرى النفس فى رئتيه لا يكاد يستغنى عنه لحظة ؟ وأول ما يستطيل به عليك ـ إذا اغتررت بنفسك فطاولته ، وأول ما يشتكى به إليك إذا اطمأن إليك فأفضى إليك بهمه على الرغم مما يتقلب فيه من

علية فإذا سمحتم باختيار مقتطفات منه نشرناها وإلا فنحن معتذرون .) أحمد أمين

ولقد توقعت أن نقدى سوف لا ينشر فى الثقافة وكان السبب الأول لهذا أنى وجهت بعض اللوم لحضرة الأستاذ أحمد أمين لأنه نشر فى مجلته ألفاظاً وعبارات كتلك التى وجهها حضرة الأب إلى الدكتور جورجى صبحى وهو له زميل فى الجامعة وأستاذ مثله فيها ، ولأنه قبل أن ترمى الجامعة المصرية التى هو أحد أساتذتها وعميد كلية الآداب فيها بأنها فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها ، وأنها تروج إفساد اللغة العربية وأنها تثبت الألفاظ المشبوهة ! !

ولئن كبر على حضرة الأستاذ أحمد أمين أن يوجه إليه هذا النقد من كاتب، وعسر على نفسه أن ينشر هذا اللوم فى الثقافة، فما كان أجدره أن يهذب نقد الأب ويطلب منه أن يرفع منه تلك الأقوال الثقيلة الجارحة ، ولـكنه قد أجاز نشر كلمات الأب ورضى بأن يحكم على زميل له فى الجامعة أن يدفع غرامة مالية وأن يسجن تلقاء نشره كتاباً قديماً مشوه الأصل ، فكيف لا يرضى لنفسه أن يلام وأن يوخز وخزة واحدة تلقاء ألف وخزة نال بها من أستاذ زميل له فى الجامعة ؟

وبأى حق يطلب الأستاذ منى ألا أعرض بالأب أنستاس ما دام قد أجاز للأب نفسه أن يعرض برجل من أفذاذ المصريين ؟ أحرام علينا أن نعرض بالأب ، حلال للأب وللأستاذ أحمد أمين أن يعرضا بالدكتور صبحى ؟ ومن ذا الذى أعطى حضرتيهما هـذا الحق وجعلهما فوق التعريض واللوم ما داما قد أجازاه لنفسيهما ؟

فإلى جمهرة أهل الأدب عامة وإلى حضرة الأستاذ محرر الرسالة خاصة، أحتكم وأطلب الحكم، وآمل أن أنصف وأن ينصف منى الدكتور صبحى بك فينشر نقدى فى الرسالة فى العدد الذى يتلو العدد الذى تنشر فيه هذه الكلمة إحقاقاً لحق لا ينكره على وعلى الدكتور صبحى إلا جرىء على حقوق الناس

اسماعيل مظهر

نعمة أنه رجل qualified ، وليعذرني القارئ إذا ذكرت عبارته كما يوردها ، فإني لأخشى ألا يؤدي تعريبها ما يريد من معنى ، فيضيف بذلك إلى أدلة جهلي عنده دليلاً آخر ، ولا تنس أن من لم يذهبوا إلى الخارج هم عنده جميعاً جهلاء أدعياء !

وهو لا يسمح أن تكون كفايته موضع شبهة من أحد رئيساً كان أو مرؤوساً ، وإنه ليخطئ الخطأ في جدله لا يختلف اثنان في أنه خطأ ، ومع ذلك فإنك لتزحزح الجبل الراسخ من موضعه ولا تزحزحه هو عن موقفه بأية وسيلة من الوسائل ؛ ويظل في مكانه لا ينحرف قيد شعرة ، ولن تزداد أنت بمحاولتك عنده إلا أنك تمعن في المكابرة وتسرف في الحمق وتبالغ في الغفلة ؛ وإنه لن يؤمن أنه يخطئ إلا إذا كان يجادل أحداً ممن اغتربوا ولو إلى قبرص !

وليته يقف عند هذا الحد ، فإنه ليقحم نفسه في كل جدال فيستمع لحظة حتى إذا قرر أحد المتكلمين أمراً جابهه بأنه يقرر الخطأ قائلاً : « لا ، هـذا خطأ » يقولها في غير مراعاة منه لأي وضع من أوضاع الذوق ، ثم يزيدك نكداً بأن يسمعك نصف عباراته بالإنجليزية ونصفها بالعربية ؛ ولقد يستكثر النصف على العربية أحياناً فلا يأتي منها إلا ببعض ألفاظ ؛ ويمعن في الكيد لك فيستدل على رأيه بما قرأ من كتب يذكر أسماءها ، والله يعلم نصيب كل منها من الوجود ! ولن يذكر فيما يستدل به من الكتب اسم كتاب عربي . وكيف يفعل هذا وهو لا يتورع أن يقول في صراحة إنه يضن بريال من ماله على شراء أي كتاب عربي بينما يدفع جنيهاً كاملاً ثمناً لأي كتاب إفرنجي ؟ !

إذا صرفت النظر عن طربوشه وسحنته فأنت منه — إذا تبقى بعد ذلك شيء — حيال انجليزي لا حيال مصري؛ فسرواله وحلته وحذاؤه كلها انجليزية اللون والتفصيل ، وغليونه انجليزي الوضع والهيئة والحجم ، وأسلوبه في تفريغ ذلك الغليون بدقه على كعب حذائه وفي حشوه وإشعاله أسلوب انجليزي على رغمي ورغم غيري من الذين ينكرون عليه كفايته ، لأن الغيرة تملأ نفوسهم والحقد يوغر صدورهم

وإنه ليدق الأرض دقاً بحذائه الغليظ إذا مشى ، ويومئ برأسه مع كل دقة إيماءة الكبرياء ، فيكون في ذلك إنجليزيًّا أكثر من الإنجليز أنفسهم ؛ وهو يكمل بذلك أدلته على أنه قد صار أحد هؤلاء الإنجليز الذين أخذ عنهم ؛ وإني لن يسعني مع هذا إلا أن أسلم له بأنه Qualified حقاً ، وإلا فهل ثمة من فرق بينه وبين من يتشبه بهم ؟

ويسيطر على سلوكه خيال انجليزيته سيطرة عظيمة عند علماء النفس تأويلها ؛ أما أنا فعملي عمل المصور الخبيث ، فأراه إذا تكلم الإنجليزية مثلاً — وقل أن يتكلم غيرها — يلعب بفكيه لعباً لن أستطيع أن أنكر ما فيه من مهارة، وإلا كنت مكابراً حقاً. وأراه يلعب دور الملحن أيضاً فهو لا يقنع بالمبالغة في إمالة ما يتطلب الإمالة من الحروف، ولا بتفخيم بعض الألفاظ وترقيق البعض، ولا بمد أواخر كلمات واختطاف أواخر كلمات غيرها، ولا بالإتيان بغنة هنا وشنشنة هناك ، ولا بقلقلة لسانه فيما يقابل « الراء » عندنا من الحروف ليخرجه بعد حشره بين وسط اللسان وسقف الفم ... لا يقنع بذلك كله وإنما يحاول أن يكون صوته كصوت الإنجليز فلا يتسق له وما أسعفه إلا خليط من اللغط والمواء يحمل أشد المحتشمين على الضحك . ولقد رأيت أحد الإنجليز يستمع إليه وهم أهل كياسة ودماثة، فلم يتمالك نفسه من الضحك فحجب وجهه بورقة في يده وضحك ملء نفسه ثم عاد يحاول في جهد الاحتشام والوقار ...

وإذا اضطره إلى العربية جانب من عمله جاءك بها في ثوب إنجليزي وتسمعها على لسانه غريبة أكثر عوجاً ولكنة في جرسها وإخراجها مما لو جرت على لسان أحد أساتذة إكستر أولفربول وقد تعلمها منذ أسبوعين !

وهو برم بمجتمعنا وتقاليده ، فكل شيء فيه سخيف عنده؛ وإنه ليعترف لديك في غير تحرج أو استحياء أنه لا يزور ذوي قرباه إلا كل عامين أو ثلاثة لأن صدره يضيق بما يرى بينهم من تقاليد وعادات بالية عتيقة . رجا منه مرة أحد أصدقائه ألا ينسى أمراً من الأمور ، فهال الصديق أن يراه يغضب أشد الغضب ثم يصعر خده ويشمخ بأنفه قائلاً : « أنا أنسى ؟ No, it is you who forgets »

وليس للفن المصرى فى رأيه أثر فى الوجود ، ولا للموسيقى المصرية وقع فى النفس، ولا للأدب نصيب من الحياة، ولا للحياة المصرية كلها وضع من أوضاع الذوق ...

وبعد فليت هذا الذى يتشبه بالإنجليز هذا التشبه ؛ يحاكيهم فى غير الحلة والحذاء والغليون واللهجة ! نعم ليته ينقل عنهم بعض ما بهروا به العالم من خلفهم ، بل ليته علم أن الإنجليز أبعد الناس عن التقليد السخيف لأنهم لا يرون بينه وبين الصعلكة كبير فرق !

ليته نقل علمهم وأتقن أسلوب تفكيرهم ، ثم اقتنع بهذا الجد وحافظ على مظهر قوميته وروحِ وطنيته ، وإن بعض إخوانه ليعود إلى وطنه وما أغناه ماء التاميز عن ماء النيل ، وما إن يرضى بأن يقيم من نفسه دليلاً على شعوره بحقارته !

وما لهذا المتكلف وللعلم وبيده « رخصة » بأنه كفء على الدوام أحسن أو أساء ؛ وما به حاجة إلى أن يعمل فهو سابق غيره إن جد وإن أهمل بحكم هذه الوثيقة بل هذه الحجة الدامغة التى تغنى عن كل شىء ! وإن وثيقته هذه لتذكرنى « بصكوك الغفران » التى كانت تبيعها الكنيسة للناس فى العصور الوسطى فتغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ، أو بما يكون لصوم يوم عاشوراء عند السذج من عامة المسلمين من جزاء فى الدنيا والآخرة ...

وإن إكبار المجتمع لمثل هذا المصرى الآتى من الخارج ليجرى على أسلوب كأسلوب العوام الذى تراه فى مثل قولهم : « فلان متربى فى بلاد بره » أو كأسلوب بعض جهلاء الذوات فى الجيل المنصرم عند ما كانوا يقولون « فلان جى من استنبول »

لقد ذهب الزمن الذى كان يراد فيه وضع هؤلاء القادمين من الخارج مهما يكن من عجزهم موضع التفوق ومات المرض من ذلك بتيقظ قوميتنا وانبعاث نهضتنا ؛ فحتام نشهد على أنفسنا بالضعة ونقدح فى كفاية معاهدنا وأساتذتنا ؟...

يا معالى وزير المعارف ! لأنت أحد أساطين نهضتنا القومية المباركة ، فمن غيرك اليوم يقتلع هذا الداء من أصوله ويقول لمن يعمل : المكافأة على قدر العمل ، وقيمة كل امرئ ما يحسن ! بذلك تقضى معاليك على عيب من أهم عيوب التعليم فى هذا الجيل الذى يرتقب الخير على يديك .

الخفيف

بواب مصر ...

السنيور « جرزيانى »

بوابَ مصرٍ قف بجنب الباب   أرأيت فى الصحراء غير سراب
حرب ولا مثل الحروب، عجيبة   دعوى المودة من عِدًى أوشاب
تركتك مصر بموضع ما اختاره   من قبلُ أقوامٌ ذوو ألباب
سجن أمرتَ به جنودك طيِّعاً ،   حسناً فعلت بجيشك الغلاب !
فلتبق حيث اخترت فى مهجورةٍ   واسمع صداك جوابَ غير مجاب
يكفى عقاباً للجهول وقوفُه   فى موقف يكفيه كل عقاب
البحر عن يسراك فارشف رشفة   وانعم بأمواه لديك عِذاب
والرمل عن يمناك فاطعم سائغاً   ما شئت بين رُبى و بين هضاب
بابٌ لمصرٍ لم يجادلك امرؤ   فالزم مكانك فيه كالبواب

عبد اللطيف النشار

غنّ ...

أيها الشاعرُ قمْ وانقرْ على   عودِك الحانِى وَرَدِّدْ أغنياتِكْ
إنما أنتَ شُعَاعْ   عن قريبٍ يغربُ
وأمانيكَ خداعْ   وسرابٌ يكذبُ
اركب الزَّوْرقَ واسْبَحْ فغداً   لا ترَى الزَّوْرقَ يجرى ويَهيم
واجمع الطيرَ حواليْك وكنْ   أوّل الشادينَ ألحانَ النعيم
وارْتَشِفْ أكوابك السكرى ففى   هذه الأكوابِ صفوٌ مستديم
وابتذِلْ دنيا الجياعْ   فهى هم يَنهبُ !
وهى عنف وصِراعْ   وضَجيجٌ متعبُ !
موكبُ الدنيا يُغَنِّى لحنَه   فانتَظِمْ فى موكب الدنيا وغَنّ
العَـــذارَى يتهـــادين به   راقصات فيه فى صفو وأمْنِ
قُمْ ترَنَّمْ ، قمْ وسَبِّحْ للهوى   وانسَ ما تحمِل من وهم وحزْن
وانهب الحسن المشاعْ   فقريبًــا يذهبُ
إنما الدنيا متاعْ   ونعـــيمٌ طيبُ

عبد العليم عيسى



شيء قديم

السلطنة

« مع سلام الله ورحمته وبركاته إلى فضيلة الأستاذ عبد الفتاح خليفة ، مفتش الخط المتصوف بوزارة المعارف العمومية »

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

الذين يسمعون الغناء في هذه الأيام معذورون إذا كانوا لا يعرفون ما هي السلطنة ، وهم معذورون أيضاً إذا سخروا من ذكرها وحسبوها رقاعة قديمة كان المغنون القدماء يصطنعونها تهريجاً منهم وتحلية لبضاعتهم ، وكان الجمهور القديم يحتملها صبراً منه ، وتضييعاً لوقته الطويل الرخيص الذي لم يكن ينتفع منه بشيء ...

وهم معذورون في هذا وذاك لأن السلطنة قد انعدمت من عند المغنين في هذه الأيام أو كادت تنعدم . والجمهور اليوم يسمع عنها — إن كان يسمع عنها — فلا يتصورها إلا نوعاً من أنواع التحكم الثقيل الممقوت يفرضه المغني فرضاً على جمهوره تيهاً منه ودلالاً واستكباراً ، فقد قيل لهذا الجيل إن المغني القديم كان لا يرد إلى المكان الذي سيغني فيه إلا بعد أن تمضي من الليل ساعات ...

وإنه بعد هذا كان يطلب خمراً أو شيئاً آخر غير الخمر يقلب به دماغه ويغيب به عن وجوده ، وإنه بعد ذلك كان يرجو أن إنساناً حلواً يقرب منه ليشاهده وهو يغني ، وهو فوق هذا وذاك كان يصر على أن يصحب معه نفراً من الناس لا هم عازفون ولا هم مغنون وإنما هم مستمعون فقط يحبهم ويؤثرهم ويجرهم وراءه من حفلة إلى حفلة ، ويجرون هم وراءه من فرح إلى فرح ، والواحد منهم يعدل عنده ألفاً من وجهاء الناس الذين يدعون إلى سماعه والذين يجاملونه بالتطييب الرقيق والتشجيع الناعم ...

وإنه بعد هذا كله لم يكن حضرته يغني إلا إذا تسلطن ، وهو لا يتسلطن إلا بعد أن يقضي أفراد تخته زمناً طويلاً في تصليح آلاتهم ، وبعد أن يمزفوا بشرفاً ، وبعد أن يغنوا توشيحاً ، وبعد أن يقسم صاحب العود بعوده تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وبعد أن يتلوه صاحب القانون فيقسم هو أيضاً تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وبعد أن يعقبه صاحب الكمان فيقسم كذلك تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وربما بعد أن يغني واحد من أفراد التخت أغنية طويلة أو قصيرة ، هذا كله وبعد طلوع الروح يبدأ حضرة المغني فيغني ، فإذا نشط في غنائه قيل إن حضرته تسلطن

هذه هي الصورة التي يتصورها أهل هذا الجيل عن السلطنة ، وهي صورة تنطبق على الحق وعلى الذي كان واقعاً ، وإذا كان أهل هذا الجيل الذي نعيش فيه يكرهونها ويسخرون منها ولا يطيقون أن يرزأوا بها فإنما ذلك يرجع إلى أنه قد فاتهم تعليل كل ظاهرة من ظواهر هذه الصورة ...

ولو أنهم عرفوا لأي سبب كان القدماء يحبون السلطنة من المغنين ويستجدونها منهم استجداء ويتكلفون تهيئتها لهم تكلفاً قد يرهقهم في أغلب الأحيان ...

لو عرفوا هذا ... إذن لأسفوا لأنهم قد حرموا اليوم ألذ متعة فنية قضى عليها جيلنا الحديث المتعجل الذي يستمع الناس الغناء فيه وكأنهم راكبون في قطار ، يعدون على المغني أغانيه كما يعد ركاب القطار عليه المحطات ؛ ويهرعون إليه قبل موعد الستار كما يهرع الركاب إلى القطار قبل موعد القيام ، وينفضون عنه بعد الوصلة الأخيرة كما ينفض الركاب من القطار في محطة الوصول ...

فلا تذوق ، ولا استسلام ، ولا واحد من المستمعين هؤلاء يتأخذ بالغناء ، ولا واحد من المغنين هؤلاء يغزو نفساً من نفوس مستمعيه . . . وإنما هو « سلق بيض » كما يقول عامتنا الحكماء . .

كان المغنى القديم لا يحافظ على ساعة محددة يحضر فيها إلى الحفلة ، وإنما كان يجعل موعده ليلة الحفلة بأكملها ، فيحضر إليها وقتما يحضر . قد يبكر وقد يتأخر غير متعمد تبكيراً ولا تأخراً وإنما الذى يتعمده هو أنه لا يذهب إلى هؤلاء الناس الذين جاءوا ليستمعوه إلا بعد أن يستوفى راحة بدنه على الأقل ، بأى صورة ما من صور الاستجمام تريحه هو .

ثم إذا جاء إلى مكان الحفلة طلب الخمر أو غير الخمر من قالبات الدماغ ، لأن الغناء عورة من عورات النفس ، لا يسهل على الإنسان أن يكشفها لغيره وهو يقظ منتبه إلا إذا كان فاجراً ، فإذا كان فاجراً لم يكن مغنياً ، لأن الغناء فن يستلزم فى النفس حناناً ورقة ورحمة وشوقاً وأملاً ولهفة ورجاء وحباً وعطفاً ورضا وتضحية ، وكل هذه عواطف بعيدة عن نفوس الفجار . . .

فإذا انقلب دماغه واستخفته الخمر وغاب عن رشده وهان عليه أن يفضح نفسه وأن يكشفها عارية للناس ، لم يرضه أن يكشفها لكل الناس ، وإنما يرضيه أن يتعرى أمام الذى يعجبه هذا العرى ، والذى يرحم هذا العرى ، والذى يستجيب لهذا العرى ، والذى يكشف بالسماع من نفسه مثلما يكشف المغنى من نفسه بالغناء . . .

وهذا هو الإنسان الحلو الذى كان المغنى القديم يطلبه قريباً منه ليشاهده ويغنى له ، ولينسى به أنه قد تعرى أمام جمهور من الناس

والحلاوة فى الإنسان تختلف ، ولكل مغن ذوق هو ناشئ عن تكوين نفسه ، فكما كانت حلاوة روحه كانت حلاوة مشهده . . .

والناس أجسام هى صور لأرواح محبيهم وعشاقهم . . .

ولا ريب أن هذه حال تشبه أن تكون موقعة بين المغنى ومشهده الحلو ، والواقع لا بد أن يحضرها شهود ، والشهود هؤلاء ليست مهمتهم الحكم على المغنى فى آخر الليل بأنه انتصر أو بأنه فشل ، وإنما مهمتهم أن يرقبوه وأن يرقبوا سامعه ، وأن يتابعوهما بالإيحاء والتنبيه والتحريض و « تسجيل النقط » والتحميس والتطييب وغير ذلك من وسائل تفتيح النفس وإرهاف الحس وإشعال الروح . . . وهؤلاء الشهود هم أولئك المستمعون الذين يجرهم المغنى وراءه من حفلة إلى حفلة ، والذين يجرون وراءه من فرح إلى فرح . وهو يحبهم وهم يحبونه . أما هو فيحبهم لأنه يشعر بأنهم يتلقون خفقات نفسه ووثباتها فلا تضيع منها خفقة فى الريح ، ولا تذهب منها وثبة إلى العدم ، فهم مسكن روحه ومأوى نفسه ونصراؤه المستجيبون له . وأما هم فيحبونه لأنهم يرونه كأنما هو قائدهم ، إذا أنّ فكما كانوا يريدون أن يئنوا هم لو أن نفوسهم تفتحت تفتح نفسه ، وإذا حن فكما كانوا يريدون أن يحنوا هم لو أن نفوسهم فاضت كما تفيض نفسه ، وإذا هم فكما كانوا يريدون أن يهموا هم لو أن نفوسهم فزعت وارتعشت كما تفزع نفسه وترتعش . . . هم من لونه وهو من لونهم ولكنه أشدهم تميزاً فى لونه ، وأشدهم تمكناً من لونه ، وأشدهم انطباعاً على هذا اللون . . .

هم جمهوره . . .

فإذا جاء المغنى إلى مكان الحفلة أو الموقعة ، وتسلح بالخمر ، واستحضر شهوده ، وواجه غريمه الحلو الذى ينتصر له الحاضرون جميعاً ، والذى تجندت مع روحه أرواح الثلاث من المستمعين قاصدة تعززه ، أو غير قاصدة وإنما تعززه بطبيعة الفضول النساب منها إلى روح المغنى يناوشه ويهاجه ويقلقه . . .

إذا ما كان هذا استنجدت روح المغنى بأرواح أفراد فرقته وهم جيشه ، فما تلبث هذه الأرواح حتى تهب له ملبية ، ولكنها قبل أن تبدأ الهجوم تستشير فيما بينها إن بالكلام

وإن بالصمت عن موضع الضعف الذى يمكنها منه أن تبدأ الغزو ، فإذا لمست فى الغريم ألماً وشجواً أرسلت إليه الحنين « سيكا » ، وإذا أحست منه استعصاء وصلابة رققته بالحجاز ، حتى إذا ما اتفقت على مدخل روحه من أين هو ، أرسل المغنى وهو القائد أول رائد من رواده يناوش الغريم فإذا هى تقسيمات من الكمان أو القانون ، هـذه التقسيمات ليست إلا ومضات من الروح تمرض على السامعين وعلى رأسهم السامع المقصود بالذات ، وهو كما علمنا من البدء ممشوق للمغنى بالفعل أو بالقوة ، فبينه وبين المغنى وأفراد جيشه وشهوده تلاؤم وتعارف مستكنان ، وود متحفز للانطلاق ، فإذا لم يقو على إطلاقه الرائد الأول بالكمان ، استثاره الرائد الثانى بالقانون ، فإذا لم يقو عليه هذا أيضاً نكثه الثالث بالعود ، ثم كان البشرف كالنفير الذى ينفخ فيه نداء وتحفيزاً ، ثم كان التوشيح كالمارش الذى يعزفه الجيش فى أول الهجوم ، ثم يبدأ المغنى بعد ذلك يسدد طعناته طعنة فى كل « ليل » يهتف بها ، وفى كل « آهة » ولكل ليل معنى يتضمنه نغمها ، ولكل آهة رجع مبثوث فيها ، وليست هى أشكال صوتية صماء خالية من المعنى والروح كهذه الآهات والليالى التى نسمعها اليوم فلا نعرف إن كان فيها فرح ، أو كان فيها يأس ، أو كان فيها رضا ، أو كان فيها هم ، أو كان فيها غم

ويبدأ الهدف الحلو يضعف وينساق ، ويبدأ المغنى يعلو ويتمكن ، ويجر الهدف الحلو وراءه تابعاً ، ثم تابعاً ، وأفراد الفرقة والشهود يجذبون هم أيضاً الأتباع أفواجاً أفواجاً ... حتى يشعر المغنى بأنه لم يعد يتحرج ولم يعد يخجل من أن يكشف نفسه لأمة لا لفرد، فكل عيوب نفسه الآن فضائل ما دامت لها أصداء فى نفوس الناس جميعاً وما دام هو وحده القادر على نثرها مستطابة مشتهاة ... لا يقصد منها قضاء الوقت ، ولا تحصيل الأجر ، فما خلف واحد من هؤلاء ثروة ...

عندئذ ، وعند ما تكمل له السيطرة على هذا النحو . . . يقال إنه تسلطن ، وهو فى الحق تسلطن على كل من فى حضرته فما ينفذ من سلطنته إنس ولا جان ... إلا لسلطان

وهـذه حال لا يشبهها إلا حال الشيخ أو الإمام مع أتباعه . . .

ولكن أى إمام ؟ . . . إمام من غير المحترفين . . . قلبه يعرف الله . . .

عزيز أحمد فهمى



عراك في غير معترك

أرسل إلينا الأستاذ محمد متولى كلمة بعنوان (صورة) يرد بها على الأستاذ زكى طلبات فرأينا أن نقتصر منها على الجملة الآتية إيثاراً لخطة الرسالة من جهة ، وإبقاء على ما بين الصديقين من جهة أخرى ، والموضوع على كل حال لا يحتمل أكثر مما قيل فيه . قال الأستاذ متولى :

ولقد أقرر أن زكيا يهزل ولا يجد فلا يليق أن نشركه في المسائل العقلية ، وإلا أضعنا وقتنا هباء دون أن نصل معه إلى نتيجة ، وسأضرب ، مثلاً بمسألة واحدة مما هو شائع في مناقشاته

١ — قال في رده الأول « وقبل أن ننتقل من هذا نود أن يقف القارئ على آراء علماء اليوم فيما كتبه ريبو » وبعد سطور قال أيضاً إن كلام ريبو « قد أصبح موضع نظر بعد أن بين الفيلسوف الأمريكي المعاصر وليم جيمس » كيت وزيت

٢ — وأنكرنا عليه أن يصف جيمس بالمعاصر وقد توفى قبل ريبو بست سنين ، فعاد إلى كلمة معاصر يحاول أن يفسر معناها ، وأنا شخصياً أعرف هذه الكلمة منذ خمسة عشر عاماً ، وقد طالما سمعتها في دروس الجامعة المصرية من أستاذىّ أبل راى وأندريه لالاند ، وكثيراً ما استعملتها بين أيديهما فلم أعرف لها غير معنيين وردا في معجم لاروس ، في قوله « Contemporain = Qui est du même temps : Voltaire et Franklin furent contemporains — Qui est du temps actuel : nos contemporains » وهذا معناه أن المعاصر هو من يعيش مع غيره في وقت واحد فنقول إن فولتير وفرانكلين كانا معاصرين . كذلك المعاصر هو من يعيش في الوقت الحاضر فنقول معاصرونا

ونحن حينما ذهبنا مع زكى وبشير ، لن نجد أكثر من هذين المعنيين لكلمة معاصر — ولنذهب لتروا ضلال الفارسين

(١) ينقل زكى أن Littré قال « La raison contemporain est l'ensemble des choses qu'une société admet comme vrai à une époque donnée » وهو كلام صحيح ، لا كما فهمه بشر وزكى ، ولكن لأن معناه أن روح العصر هي مجموع الأشياء التي تقبلها جماعة على أنها حقائق في فترة معينة ، فما دخل هذا في أن ريبو أحدث من جيمس ؟!

ربما أراد الفارسان أن يضيفا إلى كلمة Contemporain معنى لا يعرفه أهل اللغة الفرنسية ، وربما يصدران غداً « أمراً عسكرياً » باعتبار أرسطو أو نتشه أو كانت أو سبنسر أو غيرهم ممن تنفذ تعاليمهم خلال القرون ، نقول ربما يصدر الفارسان « أمراً عسكرياً » باعتبار أولئك جميعاً معاصرين برغم ما بيننا وبينهم من مئات السنين

(ب) إميل زولا (المتوفى ١٩٠٣) ، وألفونس دوديه (١٨٤٠ — ١٨٩٧) وفلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) وموباسان (١٨٥٠ — ١٨٩٣) وشارل بودلير (١٨٢١ — ١٨٦٧) ، وفيرهارن (ولد ١٨٥٥) وفرلين (ولد ١٨٤٤) ومالارميه (ولد ١٨٤٢) . كل أولئك عاشوا معاً أياماً بعينها ، كما هو واضح في تلك التواريخ ، فهم معاصرون بنسبة بعضهم إلى بعض ، ثم هم يمثلون الفكر الفرنسي في عصر بذاته ، والحال هنا كما لو أردنا أن نؤرخ للفكر المصري في هذا العصر ، فتحدثنا عن : شوقى والعقاد وحافظ والزيات ومحمد عبده وطه حسين وقاسم أمين ومن إليهم ، فهؤلاء يمكن أن يمثلوا روح عصر مجتمعين

في أجرومية اللغة الانكليزية

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة الغراء :

ذكرنى تعليق الأستاذ عبد الغنى حسن على ترجمة الأستاذ العقاد بحادثين لاثنين من المدرسين أحدهما انكليزى يدرس العربية ، والآخر مصرى يدرس الإنكليزية ، وكلا الحادثين يدل على أن الاجتهاد والجدة ينشئان نوعاً من (الحنبلية) قد يسفر عن ظرف محض ، وإن كانت الحنبلية في أغلب الأحيان لا تسفر عن ذلك

أما المصرى الذى كان يدرس الإنكليزية فهو مجتهد مثابر على حفظ القواعد الجديدة عليه حتى كادت تنسيه قواعد لغته . قيل له أعرب كلمة جداً في قولك أحبك جداً ، فأجاب على الفور : أحب فعل والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به ، وجداً يا أفندم ، وجداً ... جداً is an adverb of condition إنها ليست وصفاً فهي لا تصف الاسم ولكنها تتمشى مع الفعل

أما الحادث الثاني فهو لمدرس انكليزي كان يؤدي امتحاناً في وزارة المعارف المصرية وقال له الممتحن أسند فعلاً إلى الضمائر، فأجاب وهو لاجتهاده قد حفظ الضمائر ونسى الأفعال: «أنا مالكش دعوى. أنت مالكش دعوى. أنتم مالكش دعوى. نحن مالكش دعوى. هم مالكش دعوى. هن مالكش دعوى. هي مالكش دعوى. أنتن مالكش دعوى...»

عبد اللطيف النشار

المجمع العلمي المصري وكتاب الأخلاق

عقد المجمع العلمي المصري جلسته الأولى بعد العطلة الصيفية فألقى حضرة القس بولس سباط أحد أعضائه محاضرة عن كتاب نفيس عنوانه «علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم» لقسطا بن لوقا العالم الكبير والطبيب الشهير في القرن التاسع

ذكر القس سباط في هذه المحاضرة أن لقسطا بن لوقا ثلاثة وستين مصنفاً وأن كتابه في الأخلاق أثمن من الآثار العلمية التي تركها لنا العلماء المسيحيون القدماء، وختم المحاضرة بقوله: «أنشر هذا الكتاب راجياً أن يستفيد القارئ بمطالعته ويقدر عبقرية المؤلف وعلمه، فقد وصف قسطا بن لوقا في هذا الكتاب فوارق البشرية وصفاً بديعاً ورسم لنا بخطوط بارزة صورة للنفس الإنسانية يرى كل واحد منا صورة ميوله وشهواته ويلم بأسبابها فيجتهد في تهذيبها بما حباه الله به في القوى العاقلة التي تميز بين الخير والشر والنافع والضار»

عثر القس سباط على مخطوط من هذا الكتاب في مدينة حلب فاهتم بدرسه والتعليق عليه وترجمته إلى اللغة الفرنسية وسيبادر المجمع العلمي المصري قريباً إلى طبعه مع الترجمة فيضيف مأثرة جديدة إلى المآثر العديدة التي من بها على العالم العربي.

وفاة السير جوزيف طمسن

توفى السر جوزيف طمسن وهو من كبار علماء الطبيعة في العقد التاسع من سنه

واشتهر السر جوزيف هذا بإعلانه سنة ١٨٩٧ اكتشاف ما يعرف الآن باسم الألكترون وهو أصغر ما عرف من أجزاء المادة وأصغر مما كان يعرف باسم الجوهر الفرد

ولما أذاع اكتشافه هذا في المعهد الملكي قوبل بالشك الممزوج بكثير من السخرية. قال يصف مقابلة خطبته التي أذاع بها في المعهد هذا الاكتشاف:

«لم يصدق كثيرون وجود هذه الأجسام التي هي أصغر من الجواهر بل إن عالماً طبيعياً مشهوراً قال لي بعد زمان طويل من إلقاء الخطبة إنه ظن أني أسخر بسامعي. فلم يدهشني قوله لأني أنا نفسي كنت أشك في اكتشافي وتعليله»

هل موسى عليه السلام مصري أو عبري؟

نقلت مجلة «الرسالة» الغراء في العدد (٣٨٣) عن الأستاذ «فرويد» أنه كان يذهب إلى أن موسى عليه السلام كان مصرياً لا عبرياً، وقد أيد رأيه في ذلك بأن موسى كلمة مصرية بمعنى عبد وذلك كما وردت في كلمة (تحوتمس) بمعنى عبد تحوت، ولكن هذا لا يمكن أن يؤيد رأي الأستاذ فرويد في أن موسى عليه السلام كان مصرياً لا عبرياً، لأنه لا يلزم أن يكون الشخص من أهل لغة من اللغات إذا سمى باسم من أسمائها، وها نحن أولاء الآن نسمي أولادنا بأسماء غير عربية، ومع هذا يبقى أولادنا عرباً ولا تؤثر فيهم هذه التسمية

على أن هناك أمراً أهم من هذا في هذه المسألة، فقد قرأت في بعض الكتب القديمة أن اسم موسى سرياني مركب من كلمتين (مو - و - شا) ومو هو الماء بالقبطية، وشا هو الشجر، فعرب وقيل موسى، وإنما سمى به لأنه وجد بين ماء وشجر، ولا شك أن هذا النص صريح في أن كلمة موسى سريانية أو مصرية، ولكنها ليست بمعنى عبد، بل بمعنى ماء وشجر، فبأي الأمرين نأخذ في هذه الكلمة؟ ولا شك أن جواب هذا عند علماء الهيرغليفية، وليس عندنا معشر علماء العربية

عبد المتعال الصعيدي

موسى

ذكر الأستاذ صديق شيبوب أن فرويد قال في كتابه عن «موسى» إنه كان مصرياً مستدلاً على ذلك باسمه لأن كلمة «موسى» مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك «تحتمس» أو «تحوت موسى» أي عبد «تحوت» فيكون اسم موسى اختزالاً كما نقول بالعربية عبده أو عبد الله

والصواب أن كلمة موسى ليست مصرية وليست بمعنى

«عبد الله» كما التبس ذلك مرة على الدكتور زكى مبارك عند ما قال إن كلمة شنوده بمعنى عبد الله أيضاً . فكلمة عبد الله عند الفراعنة هى «باك» مثل «باك إن أمون» أى عبد الإله أمون وغير ذلك

ولما كان فرعون هو الشخص المؤله على الأرض أمام شعبه فكان على بعض الفراعنة أن يتخذ لنفسه اسماً يثبت به أنه الوارث الشرعى للعرش وأنه من نسل الآلهة ومن هنا أتت كلمة «تحتمس» أى «تحوت مس» المولود من صلب الإله تحوتى إله العلم والحكمة عند قدماء المصريين والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولذلك أساطير طويلة

أما الرد على الأستاذ بكر هلال فيما يختص بسؤاله عما إذا كان موسى من حاشية الملك الفيلسوف أخناتون أو غيره فلم يهتد إلى ذلك أحد قط ، وكل ما ذكر هو من الحدس والاستنتاج

ولم تذكر الآثار شيئاً عن ذلك ، وكل ما هنالك عن خروج بنى إسرائيل من مصر مكتوب على لوح من الجرانيت موجود بالمتحف المصرى من عهد الملك منفتاح ، ولكن هذا لا يبرر خروجهم فى عهد هذا الملك إذ المفروض أنهم خرجوا من مصر قبل ذلك بكثير .

ونرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى البحث عن حل لهذه المعضلة التاريخية الدينية قريباً .

محمد صابر
مؤلف كتب الفراعنة

معنى سوى

جاء فى كلمة الأستاذ على متولى السيد عدد ٣٨٦ هذه الجملة : « نمزج (سوياً) بأغرودة السعادة » ... فقد استعمل (سوياً) بمعنى (معاً) . والذى ورد فى كتب اللغة أن سوياً بمعنى مستو

جاء فى القاموس فى مادة (سوى) : « ومكان سَوِيٌّ كغَنِيٍّ وسِوًى كزِيٍّ مستوٍ، وسواه تسوية جعله سوياً » .

وفى القرآن الكريم : « فتمثل لها بشراً سوياً » أى مستوياً تام الخلق .

فخر الدين غزى

ملاحظة على قصيدة طلع الفجر

قرأت فى العدد ٣٨٦ من (الرسالة) قصيدة عنوانها (طلع الفجر) للأستاذ عزت المجين ، فأعجبنى فيها قوة الأسلوب وبراعة التصوير ... إلا أن لى كلمة أرى من حق الأدب علىَّ أن أبعث بها إلى الرسالة

بدأ الأستاذ قصيدته بلون من الشعر أسبغه على ثلاثة أبيات منها ، ثم تحول فجأة إلى لون آخر ، وإن كان المعنى ما زال موصولاً . وقد ورد البيت الثانى هكذا :

فاصبح يا حلو قد صحا الور ... د وطاف النسيم بالأقداح

ولعل صحة البيت :

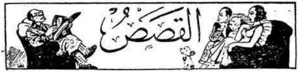
فاصبح ياحلو واستمع قدصحا الور ... د وطاف النسيم بالأقداح

حتى يستقيم الوزن ولا يختل المعنى . وما عن هذا أتساءل ؛ ولكن أما كان يصح للناظم إذ نظم من بحرين مختلفين أن يجعل للأول نصيباً من باقى أبيات القصيدة حتى لا ينتقل القارئ أو السامع من نغم موسيقى إلى نغم آخر من غير وجود آصرة تربط بينهما حتى النهاية ؟؟

وقد ورد لحضرته أيضاً : فتعالَ إن روحى ظمئت (يخاطب حبيبه) ، ثم عاد فكرر الكلمة ـ فتعال ـ فى قوله : (فتعال إنه يوم الهنا) مما يضطر إلى إشباع اللام حتى يستقيم الوزن ، على أن مثل هذا الإشباع لا يجوز إلا فى القوافى من القصائد

وبهذه المناسبة أقول إن الرسالة كانت قد نشرت بالعدد ٢٩٣ قصيدة للأستاذ إيليا أبو ماضى ، عنوانها «ابنة الفجر» وقد ورد فيها مثل هذا الإشباع — غير الجائز — لحرف من الحروف فنبهت إليه وعلقت عليه

على سرور



عبث أرستقراطي

للأستاذ نجيب محفوظ

في ذلك المساء من شهر مارس ازين قصر الوجيه حامد بك عرفان بحلة لألاءة من الأنوار المتموجة ذات الألوان، مدت أسلاكها الكهربائية على سور الحديقة فتعانقت مع الياسمين والبنفسج. وتعلقت بأفرع الأشجار والنخيل، وتوجت بها شجيرات الورود المنتثرة على هيئة أهلة ونجوم. وكان أعجب ما في القصر هو ذاك البهو المتسع الأنيق الذي فرش بفاخر الأثاث وحليت جدرانه وأركانه بروائع الفن من صور وتحف، وترك في وسطه مكان رحب للراقصات والراقصين، أما في صدر المكان فقد امتدت ردهة إلى مقصف حافل، وإلى يمينها فيما يلي الشرفة المطلة على الحديقة احتلت فرقة الموسيقى الإيطالية مكاناً جميلاً ... وانتشر فيما بين البهو والشرفة والمقصف والحديقة المدعوات والمدعوون الذين لبوا الدعوة للاحتفال بعيد ميلاد كوكو الصغيرة ابنة الوجيه عرفان بك وزوجه أنجي هانم عرفان ... وكانوا يجلسون أزواجاً وجماعات يتجاذبون أطراف الأحاديث حيناً بالعربية وأحياناً بالفرنسية ويتضاحكون بأصوات عالية رقيقة وخشنة. وإذا دعت الأنغام قاموا للرقص والعناق. وقد شاع في الجو عطر وأنس وحرارة كأنها أنفاس المودة نفثتها الأعين والشفاه والصدور والأماني الهامسة

وكانت الأحاديث متنوعة، ولكنها تدور في الغالب حول موضوع واحد يتجاذبها كما يتجاذب النور الفراشة، وهو المرأة، ولا يُستثنى من ذلك الجماعة التي كان محدثها الأول الأستاذ على الجميل الصحافي المعروف والنائب المحترم، فما خرج الحديث فيها عن الزواج واختيار المرأة الصالحة، وكان النقاش يحتدم بين المتجادلين من الجنسين بصورة عنيفة مضحكة. أما الوجيه نور الدين فكان يتوسط حلقة أخرى يروي فيها ما اتفق من قصص مغامراته الغرامية في العواصم العالمية ذوات الشهرة في الحب والجمال؛ وفي ركن منعزل امتاز بوفرة من حوى من الشابات والشبان أقيمت مسابقة سرية لاختيار أقبح امرأة بين المدعوات واتجهت أبصار المحكمات والمحكمين إلى امرأة اتخذت مكانها تحت صورة الفنانة وابنتها «لِفيجيه لوبرن»، وكانت عجوزاً إلا أنها تتصابى وتستعير من ألوان الجمال ما تظن أنه يغني عما استرده الدهر من حياة شبابها، فبدت تحت طلاء الأصباغ في هيئة مضحكة، وكانت تتجنب الناس وتقنع بالجلوس منفردة حتى تعود إلى مجالستها ربة الدار أنجي هانم كلما تاقت نفسها إلى الراحة. أما اسمها فدولت هانم، وقد راضت نفسها على العزوبة بعد تجربة أربع زيجات غير موفقة، وكادت تيأس من الرجال والحب. وقنعت من متاع الدنيا بمضغ الأعراض والخوض فيما تعلم وما لا تعلم من أسرار الناس، فصارت معجماً لتواريخ السوء. وكانت في تلك اللحظة التي اختيرت فيها سراً ملكة للقبح ... تجالس أنجي هانم، وكانت تلوذ بالصمت قسراً بعد أن لم تبق على أحد من الحاضرات والحاضرين، حتى أتيحت لها فرصة جديدة للكلام بحضور الوجيه الأستاذ محمد جلال المحامي وزوجه الحسناء صفية هانم جلال. وكانا يلفتان الأبصار حيثما سارا لثراء الزوج المالك لأربعة آلاف فدان في الصعيد، وجمال الزوجة ورشاقتها، وقد استقبلتهما أنجي هانم بمودة ظاهرة وباطنة، ولما عادت إلى جوار دولت هانم مالت هذه على أذنها وقالت بصوتها الخافت المبحوح:

— يالهما من زوجين سعيدين جميلين!

فقالت السيدة بحماس:

— الأستاذ جلال شاب يندر أن يوجد نظيره بين الشباب الناجح الثري ... ألا تعلمين أنه مرشح لكرسي النيابة؟ ... وأما صفية فهي آية للجمال والصفاء ...

فابتسمت المرأة ابتسامة باهتة وقالت:

— نعم، نعم ... لا شيء يعيبه إلا أنه يقال إنه قد يتبارز من أجل راقصة، أما إذا استثيرت غيرته الزوجية فقد يغضي ...

وضاقت أنجي هانم ذرعاً بحديث صاحبتها، فلم تسألها إيضاحاً

وتشاغلت عنها بمشاهدة بعض الراقصين ، ثم استأذنت لاستقبال بعض صواحبها ...

وسلم الأستاذ محمد جلال وزوجه على عدد عديد من الأصدقاء والصديقات ، ثم اختارا أن يجلسا إلى زوجين جميلين مثلهما هما الوجيه طه بك العارف وزوجه الحسناء هدى هانم العارف ، وكان الأستاذ جلال يبدى إعجاباً خاصاً نحو السيدة هدى . فلما عزفت الموسيقى دعاها إلى الرقص معه وقبلت بسرور ورقصت زوجه مع طه بك ...

وطرب الجميع طويلاً وشربوا كثيراً ، فدارت رؤوس وثرثرت ألسنة كتومة ، وفاضت الأحاديث ، وامتلأ الجو برنين الضحكات ووميض الابتسامات وإيماءات الغزل ، والتقت أعين وتماست أنامل وارتمشت شفاه ... حتى جاءت تلك الساعة المختارة من الليل فتوسطت المدعوين السيدة أمجى هانم وقالت بصوتها الرخيم :

— اسمحوا لى سيداتى وسادتى أن أقدم إليكم مفاجأة العيد السعيد

وتطلعت الوجوه إليها من كل صوب وتجمع حولها المدعوون ما بين الشرفة والقصف ينتظرون فرحين . وبغتة أطفئت الأنوار بغير نذير وساد المكان ظلام دامس دام خمس دقائق ما كان يسمع خلالها سوى همس خافت أو ضحكات مكتومة ، ثم أضيئت الأنوار مرة أخرى فرأى القوم منظراً بديعاً ... مهداً على قوائم أربع طويلة ، مسقفاً بستار من حرير على هيئة هرمية ، وفيه جلست كوكو متكئة على يديها الصغيرتين فى قميص أبيض كأنها وردة بيضاء يانعة ، وكانت ترمق الناظرين بعينين دهشتين صغيرتين ينعكس النور على زرقتهما الصافية ! فصفق الجميع تصفيقاً رقيقاً وهتفوا باسمها ، وقبل الآنسات يدها الصغيرة ، ثم قدمت الهدايا النفيسة حول مهدها الجميل ، وشمل القوم سرور عظيم فاستأنفوا لهوهم بإرادة أشد نزوعاً للصبا والمسرة . على أن فترة الظلام القصيرة لم تمر بسلام كما توهم الجميع . فقبيلها بدقائق كان الأستاذ محمد جلال يجالس هدى هانم فى القصف وقد دل عبثهما المرح على أنهما ثملان ، فلما أطفئت الأنوار لم يتردد الشاب فدنا برأسه منها حتى كادت تمس شفتاه أذنها وهمس قائلاً : « هدى » وارتجفت المرأة كالمذعورة ولم ترد عليه ، فقال لها همساً وهى تحس بلمس شفتيه لأذنها : « هذه فرصة طيبة . قومى واتبعينى »

وكان بودها لو تباله كما يقضى الدلال ولكنها خشيت أن يضاء النور بسرعة ، فقالت همساً :

— إلى أين ؟

— إلى حجرة التدخين فى الطابق العلوى !

— قد يفتقدوننا

— وما ذا يهم ! ... سيظنون أننا فى الشرفة أو فى الحديقة أو فى القصف أوهنا أوهناك ، وسنعود من طريقين متباعدين ...

وأمسك بكفها وقام واقفاً فقامت بدورها ، واتجه نحو السلم وهى تتبعه ، وارتقياه بسرعة ، فوجدا نفسيهما فى ردهة مضاءة بنور بنفسجى هادئ ، تطل عليها أبواب متباعدة ، فسارا إلى هدفهما ودخلا معاً ثم ردا الباب فى سكون ، وكان الجو مظلماً شديد الظلمة ، ولكنه كان يعرف المكان فانعطفا إلى اليمين وتقدما خطوات ، حتى عثرت يده بكنبة كبيرة وثيرة ، فجلس وجلست ، وتنهد من أعماق صدره ، وقبض على كفها فوجدها ترتعش كالمقرورة ، فسرت رعشتها إلى قلبه ووجد به غمزاً لم يبرأ منه حتى ضمها إلى صدره بعنف وانهال على وجهها يقبله بشغف وجنون ، كم لبثا منفردين ؟ إنه لا يدرى ولكن المحقق أن تلك الخلوة السعيدة لم تخل مما ينغصها ، فقد خيل إليهما أن أقداماً خفيفة كالمحاذرة تدنو من باب الحجرة ، فتباعدا قلقين وأرهفا السمع واتجهت أعينهما فى الظلام ناحية الباب ، وخالا أكثر من هذا أن يداً تعالج الباب بلطف ... ترى أحق هو أم وهم ؟! ولكن الباب تحرك ونفذ إلى الحجرة شعاع هادئ كروح محتضرة ، فاشتد بهما الرعب وودا لو تبتلعهما الأرض ، وما لبث أن تسلل شبح فى حذر وتبعه آخر ، ثم رد الباب إلى ما كان عليه فساد الظلام مرة أخرى ، وكان الداخلان شديدى الحذر فلم يبديا حركة ، ولم يصدرا أصواتاً ، وكأنهما ذابا معاً فى الظلمة

الجائمة ... فسكن ذعر الآخرين وأحسا بشيء من الارتياح بل والطمأنينة ، وخطرت لها فكرة مما هي أن الضيفين الجديدين مثلهما وأن لا خطر عليهما منهما ، وتأكد هذا الظن حين شعرا بهزة تصيب الكنبة فعلما أن صاحبيهما اختارا كنبتهما مقعداً لهما أيضاً ، وتريثا في قلق صار بعد حين ضيقاً وكدراً لأنهما لم يستطيعا أن يأتيا حركة خشية أن ينتبه الآخران فيفزعا ، وربما حدث ما لا تحمد عقباه !

أما الجديدان فكانا يظنان نفسيهما في أمان وخلوة فلم يحاذرا إلا بمقدار، واستطاع العاشقان أن يسمعا همساً وهمهمة وأن يسمعا الرجل يهانغ صاحبته وهي تهانئه ولم يكتفيا بذلك ، بل قال الرجل بصوت استطاع الآخران أن يميزاه : « حبيبتي ... صفية ... »

وارتجف محمد بك جلال كأنما قطعة من الثلج ألقيت على ظهره ؛ وأحس بارتجاف يد صاحبته في يده ... كان الصوت صوت طه بك العارف ... ومن هدى ؟ أليست زوجه هو ؟! ... أي كارثة تجمعت في هذه الحجرة المظلمة ! ودق قلبه بعنف وغلى دمه غلياناً كاد يفجر الشرايين في دماغه ، ولكنه لبث ساكناً صامتاً وزوجه على قيد ذراع منه في أحضان خليلها ! ولم يكن يأسف على عجزه عن تحطيم رأس الرجل — فمثل هذا العمل يثير فضيحة حرية بالقضاء على مستقبله السياسي ومعركة الانتخابات على الأبواب — ولكنه كان مغيظاً محنقاً لأن غريمه لا يدرك في تلك اللحظة أن زوجه بين يديه هو أيضاً ...

وانتظر دقائق كالأجيال ، وشعر أخيراً بحركة استدل بها على قيام الرجل وسمعه يقبل زوجه بحرية ويقول لها : « لو تعدل الدنيا ... فزوجك الغبي ليس أهلاً لك وزوجتي ليست أهلاً لي . ولكن ما العمل ؟! » ... ثم تسللا خارجين كما أتيا ...

وكان الغضب قد أفسد على جلال بك مزاجه فقام هائجاً ، وبحث عن سترته حتى عثر عليها وأخذ بيد صاحبته وخرجا في حذر ثم افترقا في الردهة ...

ولبث ضيق الصدر شديد الكدر ساعة طويلة يلعن طه بك ويلعن زوجه المستهترة ، ولم تكن هذه أولى خياناتها ، ولكنها وقعت على كثب منه بحال بشعة لا يمكن أن تمحى من الذاكرة. فسحقاً لها ! ... وقام يتمشى في الحديقة فاراً بوجهه المتقنع من الأعين جميعاً ، ولفحه هواء الليل البارد فرطب جبينه الساخن ، وأنعش فؤاده المضطرم . وصح عزمه في تلك اللحظة على أن يسلم قياده لمغامرات الغرام الجنونية غير مبق على شيء ولو أدى الجنون إلى الظهور مع هدى في المجتمعات العامة وميادين السباق . وتعاقبت هذه الخواطر فأحس بارتياح ومضى يفيق من همومه ويتنبه إلى نفسه . فاستطاع عند ذلك أن يشعر بتغير غريب ، فعجب لشأنه وتناسى انشغاله ، وبحث عن أسباب هذا التغير فوجد يديه تجسان السترة وكأنها أوسع مما كانت . . . ماذا حدث لها ؟ يا للعجب . . . إنها أوسع مما يتصور . وخطر له خاطر غريب اضطرب له فؤاده ، ولكي يتحقق من وساوسه وضع يده في جيب السترة وأخرج حافظة ، لم تكن حافظته ، ووجد بها بطاقة مكتوباً عليها « طه بك العارف »

ووضح الأمر ، وعاوده القلق والحنق ، ولم يكن ثمة خوف من الفضيحة ، فسترات بدل السهرة متشابهة ، ولكنه كان يشعر بحيرة شديدة ويسائل نفسه : « كيف يمكن أن تتبادل السترتان ؟! »

نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)